حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ (عدد إبريل – يونيه ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

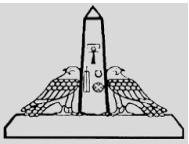

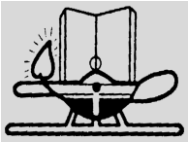

أثر الاستبدال الفعلي في تماسك النص القرآني

عبدالمحسن أحمد الطبطبائي*

جامعة الكويت- كلية الآداب

المستخلص

لا يزال مفهوم الاستبدال عامّة، والاستبدال الفعلي خاصّة محل نظر في اصطلاح النصيين، ومحل اختلاف في البحوث التطبيقية الحديثة، وقد سعى هذا البحث إلى تحديد ما يختص به ذلك الاستبدال من تحليل ودراسة، وكذلك مناقشة مقدار التشابه والاختلاف بين عنصر الاستبدال الفعلي، وعناصرَ أخرى من عناصر التماسك النصي، من مثل الإحالة، والتكرار.

وقد تناول البحث ماهية الاستبدال الفعلي بين المحدودية والتوسُّع، والعلاقات النصية بين الاستبدال الفعلي وبعض العناصر النصية الأخرى، كما تناول البحث مقدار تحقق الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم، وتطرق إلى صور الاستبدال الفعلي ومظاهره، وكذلك إلى تعاضد الاستبدال الفعلي مع عناصر التماسك النصي في القرآن الكريم، فيتناول اقتران الاستبدال الفعلي مع عناصر نصية أخرى في تحقيق تماسك النص وتلوينه، من مثل الإحالة والتكرار والحذف، إذ يأتي الاستبدال الفعلي في بعض آيات القرآن الكريم- منفردا أو بجانب عناصر نصية أخرى-؛ ليحقق التماسك النصي بين الآيات، مع إيجاز ملائم للسياق، وتنوع في التركيب والأسلوب.

إنّ هذا البحث يرمي إلى إيجاد تأويل نصّي للقرآن الكريم مبني على معطيات علم النحو النصي؛ بما يكشف عن دلالات جديدة في التفسير القرآني، وكذلك إلى إبراز الظواهر النصية والتركيبية المستفادة من دراسة التأويل النصي للقرآن الكريم، وتحديد الوسائل النصية المهمة في تماسك النص وتأويله، ومدى تحققها في الآيات القرآنية، والتي ينتج من خلالها ترابط هذه الآيات، واتساع معانيها، بما يكشف عن طرائق حديثة في تأويل النص القرآني، فيؤكد التأويلات الصحيحة، ويقوِّم التأويلات المختلف في صحتها.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مقدمة:

يتناول هذا البحث مفهوم الاستبدال الفعلي عند النصيين، وكيف جاء هذا المفهوم تطبيقياً عند المفسرين في تأويل بعض آيات القرآن الكريم، حيث يأتي ذلك التأويل موافقاً لما وضعه النصيون اليوم من مفهوم للاستبدال النصي الحديث.

إنّ هذه الدراسة ترتكز على أمرين؛ الأول: نظري، وهو قائم على مناقشة مفهوم الاستبدال الفعلي عند النصيين، والتفريق بين ما يختص به ذلك الاستبدال، وبين ما لا يختص به من تحليل ودراسة، وكذلك مناقشة مقدار التشابه والاختلاف بين عنصر الاستبدال الفعلي، وبين عناصرَ أخرى من عناصر التماسك النصي، من مثل الإحالة، والتكرار. والمرتكز الثاني: تطبيقي، يقوم على تناول مواضع الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم، والأفعال أو مجموعة الأحداث أو المعلومات التي يتحقق من خلالها هذا النوع من الاستبدال، وما ينتج عن ذلك من فهم وتأويل في تلك الآيات القرآنية، كما يتناول اقتران الاستبدال الفعلي بغيره من عناصر التماسك في نحو النص، ومقدار الترابط النصي المضاعَف الذي تحقق من جراء ذلك الاقتران.

وتهدف الدراسة إلى إيجاد تأويل نصّي مبني على مرتكزات نحو النص للقرآن الكريم؛ بما يكشف عن دلالات جديدة ومقاصد عميقة لبعض آيات القرآن الكريم، وتسعى نحو إثارة القضايا النصية المرتبطة بالاستبدال الفعلي وما يقترن به وسائل الترابط النصي البارزة في القرآن الكريم، وبيان ما تحققه تلك الوسائل في الآيات القرآنية، بما يظهر من المعاني التأويلية المستخلصة من جراء ذلك، واستناداً لأقوال المفسرين- قديماً وحديثاً- في بيان المعاني الخفية للنص القرآني.

وتظهر أهمية الدراسة في إبراز الظواهر النصية والتركيبية المستفادة من دراسة التأويل النصي للقرآن الكريم، ومعرفة تلك الوسائل النصية القائمة على معطيات نحو النص، ومدى تحققها في الآيات القرآنية، والتي ينتج من خلالها ترابط هذه الآيات، واتساع معانيها، بما يكشف عن طرائق حديثة في تأويل النص القرآني، فيؤكد التأويلات الصحيحة، ويقوِّم التأويلات المختلف في صحتها.

كما تظهر أهمية الدراسة في الكشف عن الأثر التطبيقي لدراسة النص القرآني؛ وذلك لتحقق العلاقات النصية الحديثة في القرآن الكريم، وظهور الاحتمالات التأويلية المتنوعة في الآيات القرآنية، والتي تحتاج إلى دراسة نصية تحدد دلالتها ما أمكن ذلك، من خلال النظر في عناصر نصية ضابطة، من مثل السياق والمقام والقصد.

ومن خلال الاطلاع على دراسات سابقة متنوعة في إطار موضوع هذه الدراسة، فإنه تعذرَ عليَّ العثور على دراسة مستقلة تتناول الاستبدال الفعلي في القرآني الكريم، إلا أنني وجدت دراساتٍ تتعلق بموضوع الاستبدال عامة، غير أنها مختلفة شكلاً ومضموناً عن هذه الدراسة، ويمكن عرض هذه الدراسات السابقة فيما يلي:

١- الاستبدال الدلالي دراسة تطبيقية على الفعل (أتى) في القرآن الكريم، وهو بحث من إعداد: د. ناصر علي عبدالنبي، مجلة كلية الآداب ببنها، العدد: ١٠، يناير ٢٠٠٤م.

وقد جاء هذا البحث في تمهيد يتناول مفهوم الاستبدال الدلالي، ووجه الخلاف بينه وبين كلٍّ من الاستبدال الصوتي والاستبدال النحوي، ثم مبحثين؛ الأول: البدائل اللغوي للفعل (أتى) في القرآن الكريم، والثاني: أشكال الاستبدال بين (أتى) وبدائله.

٢- منهج الاستبدال النحوي في كتاب سيبويه دراسة وتحليل، وهو بحث من إعداد: د. لطيف حاتم عبدالصاحب الزاملي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد: ١١، العدد: ٢، ٢٠١٢م.

وقد تناول هذا البحث منهج الاستبدال عند سيبويه ومفهومه، ومظاهر الاستبدال النحوي، ومدى تحققها في الكتاب، وسعى إلى إظهار براعة سيبويه في التحليل والوسائل المستعملة في التوجيه؛ لإظهار الخصائص المتفردة للعربية، والخصائص المشتركة مع اللغات الأخرى، كما حَدَّدَ الخطوط المشتركة بين منهج سيبويه في الاستبدال، وما أفرزته المناهج الحديثة من مبادئ في التحليل.

٣- الاستبدال في القرآن الكريم، وهو مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماجستير في تخصص لسانيات النص، للباحثة: سميرة قاسمي، ومن إشراف: د. عبدالقادر البار، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ٢٠١٤/ ٢٠١٥م.

وقد جاءت هذه المذكرة في مدخل يتناول مفهوم اللسانيات النصية، والنص، والروابط النصية، ثم فصلين؛ الأول: الاستبدال النصي، وفيه مبحثان؛ المبحث الأول بعنوان: ماهية الاستبدال، والمبحث الثاني بعنوان: أشكال الاستبدال. ثم الفصل الثاني: الاستبدال في القرآن الكريم، ودرست فيه أنواع الاستبدال؛ الاسمي، والفعلي، والقولي في سور من القرآن الكريم.

٤- ظاهرة الاستبدال في نحو الجملة ونحو النص، وهو بحث من إعداد: د. عرفة عبدالمقصود عامر حسن، شبكة الألوكة الإكترونية، سبتمبر ٢٠١٤م.

ويطرح هذا البحث مظاهر الاستبدال وصوره، ويحلل بعضها، وذلك في ضوء استبدال العناصر التطريزية، مثل استبدال حركة بحركة، أو حرف بحرف، أو لاحقة بأخرى، وكذلك في ضوء الاستبدال الداخلي في إطار الجملة، أو في إطار النص كاملاً، كما يتطرق إلى التبادل الموقعي بين الفعل والاسم، ويشير إلى إفادة الشعراء من هذا التبادل. ويفرق الباحث فيه بين الاستبدال الاختياري المقبول، والاستبدال الضروري أو المرفوض، كما يحاول أن يفرِّق مفهوميًّا بين مصطلحات متشابهة: من مثل: النيابة، والانزياح، والاستبدال، والمعاقبة، والعدول.

٥- الاستبدال الصوتي وأثره الدلالي في العربية، وهو بحث من إعداد: د. عبدالكريم بورنان، مجلة الأثر، العدد: ٢٣، ديسمبر ٢٠١٥م.

ويدرس هذا البحث الاستبدال في إطار المظاهر اللغوية التي تؤدي فيها الأصوات وظائفَ دلالية ونحوية، ويتناول الصوت الذي له القدرة على إيجاد تغير دلالي بين كلمتين، ذلك التغير الدلالي الحاصل بسبب التنوع اللفظي للصورة الصوتية الذي يرده الباحث إلى الصوامت والصوائت، سواء أكانت طويلة أو قصيرة، ويسعى إلى إثبات التناسق الصوتي في الألفاظ العربية المفردة والمركبة، ويحمل موضوع البحث بين ثناياه المثلثات اللغوية ودلالاتها، وتحقيق العدول لهدف المبالغة، ثم أثره في النحو والصرف.

وتجدر الإشارة إلى أنّ تلك الدراسات السابقة دراسات مختلفة عن دراستي هذه، ولا تتفق أيٌّ منها في تطبيق الاستبدال الفعلي على القرآن الكريم كما في هذه الدراسة، ولا في جُلّ الشواهد القرآنية المذكورة، فضلاً عن التفريع والتحليل، والمناقشة والنتائج.

وقد سرت فيها على منهجين؛ الأول: وصفي، يحدد الظواهر النصية والتركيبية المرتبطة بموضوع الدراسة في القرآن الكريم، ويعرضها ويناقشها، والثاني: تطبيقي تحليلي، يعنى بتناول الآيات القرآنية التي وجدت فيها الظواهر المدروسة، ويقوم بتحليلها وتأويلها.

كما تتكون هذه الدراسة من مقدمة تعرض أهمية الموضوع، وأهدافه، وتمهيد يتناول مفهوم الاستبدال بين كلٍّ من اللغويين والمفسرين والنصيين، ثم مادة البحث الأساسية التي تتضمن ثلاثة مباحث؛ الأول: ماهية الاستبدال الفعلي وعلاقاته النصية، وقد تناول هذا المبحث موضوع الاستبدال الفعلي بين المحدودية والتوسُّع، والعلاقات النصية بين الاستبدال الفعلي وبعض العناصر النصية الأخرى، والمبحث الثاني: تحقق الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم، وقد تناول صور الاستبدال الفعلي ومظاهره في القرآن الكريم، أما المبحث الثالث، فبعنوان: تعاضد الاستبدال الفعلي مع عناصر التماسك النصي في القرآن الكريم، وهو يتناول اقتران الاستبدال الفعلي مع عناصر نصية أخرى في تحقيق تماسك النص وتلوينه، من مثل الإحالة والتكرار والحذف. ثم يلي ذلك الخاتمة والنتائج.

تمهيد:

الاستبدال لغة: هو اتّخاذ البدَل، أو التبديل والتغيير. وفي هذا قال ابن سيده (٤٥٨هـ): "وتَبَدَّلَ الشيءَ، وتبدَّلَ بهِ، واسْتَبْدَلَه، واسْتَبْدَلَ به، كلُّه: اتّخَذ منه بَدَلاً"[٢]. وقال ابن منظور(٧١١هـ): "وتبديل الشيء: تغييرُهُ، وإن لم تأتِ ببَدل. واستبدَلَ الشيءَ بغيره، وتَبَدَّلَهُ بهِ، إذا أخَذَهُ مكانه"[٢]. وقال أيضاً: "والأصل في التبديل تغييرُ الشيء عن حالِهِ، والأصلُ في الإبدال جَعْلُ شيءٍ مكانَ شيءٍ آخرَ، كإبدالك من (الواو) تاءً في (تا)"[٣].

وقد اهتم مفسرو القرآن الكريم بالاستبدال مفهوماً ومعنىً، فنجد في بعض التفاسير تعاريفَ متنوعة للاستبدال؛ بما يسهم في تأويل الآيات القرآنية المرتبطة بذلك. فقد جاء عند ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) أنّ "أصل الاستبدال هو ترك شيء لآخر غيره مكان المتروك"[٤]، وعند القرطبي (٦٧١هـ) أنّ "الاستبدال: وضعُ الشيء موضعَ الآخر"[٥]، وقد جاء في التفاسير الحديثة، كما في تفسير أبي بكر الجزائري، أنّ الاستبدال "تركُ شيءٍ، وأخذ آخرَ بدلا عنه"[٦].

ويبدو أنّ الاستبدال بهذا المفهوم السابق- على تعدد تعاريفه بين اللغويين والمفسرين- يدور في فلك واحد، وهو التبديل والتغيير، أو اتخاذ البدل بوجهٍ عام، غير أنّ الاستبدال عند النصيين لا يحمل ذلك الاتساع الذي يعرَف عند القدماء، إنما هو مفهوم محدَّد، له أسُسه وأركانه، وينبغي في بداية الأمر التفريق بين مصطلح الاستبدال النصي في الدراسات النصية الحديثة، وبين مصطلح الاستبدال المستعمل لدى القدماء من لغويين ومفسرين.

عرَّف النصيون الاستبدال بأنه "عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[٧]، أو "إحلال عنصر لغوي محلَّ عنصر آخر في سياق لغوي واحد"[٨]، وهو عندهم "صورة من صور التماسك النصي التي تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وعبارات"[٩]، وهو كذلك "وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النص"[١٠].

وقد تكلم النصيون عن أمر مهم في الاستبدال، وهو مرتبط بتعريفه، ألا وهو تحقق الاستمرارية الدلالية فيه، أي وجود العنصر المستبدَل في الجملة اللاحقة، وهو بذلك "يمثل العلاقة بين عنصر متقدّم وعنصر آخر متأخّر، بحيث يكون هذا العنصر المتقدّم بديلاً للعنصر المتأخّر، وهذا ما يجعل الجملة والنص قادريْن على تحقيق الترابط والاتساق داخل النص"[١١].

وبناءً على ما سبق، تتضح أهمية الاستبدال في النص، وذلك بوصفه وسيلة متينة من وسائل الاتساق النصي، "وعن طريقه يمكن ربط الجمل مع ضمان تنوُّع الأسلوب واختصاره"[١٢]. وسيأتي في المبحث الآتي تفصيل الكلام في توسُّع مفهوم الاستبدال الفعلي

بين الباحثين، وكيف تداخلت العلاقات النصية بين الاستبدال الفعلي وبعض العناصر النصية الأخرى.

المبحث الأول- ماهية الاستبدال الفعلي وعلاقاته النصية:

المطلب الأول- الاستبدال الفعلي بين المحدودية والتوسُّع:

يرى النصيون أنّ عناصر الاستبدال محدودة، وهي إمّا اسمية، مثل: (آخر، آخرون، نفس)، وإمّا فعلية، مثل الفعل: (يفعل)، وإمّا قولية، مثل لفظ: (ذلك)[١٣]. وفي ذلك نصّ هاليداي ورقية حسن على أنّ الاستبدال يتحقق بأحد ثلاثة أنماط، هي:

١- الاستبدال الاسمي، ومثاله: فأسي مثلومة جدا، يجب أن أقتني أخرى حادّة.

٢- الاستبدال الفعلي، ومثاله: هل تعتقد أن جون يَعرف مسبقاً؟ أعتقد أن كلَّ شخصٍ يفعَل.

٣- الاستبدال القولي، ومثاله: لا شك أنك توافق على وقوع المعركة؟ قال (تويدلدوم) بصوت هادئ: أفترض ذلك[١٤].

وإذا ما نظرنا إلى الاستبدال الفعلي- موضوع هذه الدراسة- وجدنا أن هناك محدودية في استبدال الأفعال، حيث يُستبدل بتلك الأفعال أو العبارات المراد استبدالها الفعلُ (فعَل) بأحد تصريفاته، أو ما يحقق معناه من الأفعال، من مثل: (عَمِل)، أو (كسَبَ). فهذا النوع من الاستبدال "يكون غالباً باستعمال الفعل (فعَلَ، عَمِلَ) مكان فعل خاص، أو مجموعة معلومات مبنية على أحداث"[١٥]. وهو بذلك يسهم في توضيح معنى الجملة والنص، ومن ثم يحقق الترابط الرصفي والاتساق المفهومي.

وفي إطار هذه المحدودية يظهر الأثر الذي يتركه الاستبدال، وهو ظهور العنصر المستبدَل نفسه، والذي يحيل إلى عنصر سابق استبدل به ذلك العنصر؛ بما يحقق الاتساق النصي، وفي هذا يؤكد الدكتور محمد خطابي على أنّ الاستبدال يسهم في اتساق النص من خلال العلاقة بين العنصرين المستبدِل والمستبدَل، وهي علاقة قبْلية بين عنصر سابق وعنصر لاحق فيه، وأنّ العنصر المستبدَل موجود- في هيئة ما- في الجملة اللاحقة، وأنّ علاقة الاستبدال تلك تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال[١٦]. أي أنه ينبغي وجود العنصر المستبدَل داخل النص؛ "ولهذا فإنّ المستبدَل يبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض؛ مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلفه الاستبدال"[١٧].

ومن خلال ما سبق يتبين أنّ الاستبدال النصي محدود عند النصيين، غير أنّ بعض الباحثين يرفضون هذه المحدودية في عناصر الاستبدال، ويجعلونها أكثر اتساعاً، وفي ذلك يقول الدكتور صالح عبدالعظيم الشاعر: "ويبدو بشيءٍ من النظر أنَّ عناصر الاستبدال أوسع مجالا من هذه الألفاظ التي ذكروها، وأرادوا حصر الاستبدال فيها، فمثلاً: بعض الإحالات لغير مذكور تدخل في مفهوم الاستبدال الاسمي، وكذلك صنوف الاستعارات، حيث يحل اسمٌ ظاهر مكان آخر من غير أن تتحقق شروط الإحالة، كذلك يدخل في الاستبدال الاسمي قضيَّة التنوين المعوِّض عن اسم مفرد، وإقامة الصفة مقام الموصوف، والمضاف إليه مقام المضاف، وقد يُستبدل الاسم بالضمير... وكذلك يُستبدل الحرف بضمير، نحو :(فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)[١٨]، والأصل: مأواه"[١٩].

وقال أيضاً: "ومِن نافلة القول أن نذكر هنا تبديل لفظ بآخر في روايات الشّعر، واختلاف بعض الألفاظ في بعض القراءات القرآنية، كما أنه لم يُذكر للاستبدال الفعلي وسيلة غير الفعل العام (فعَلَ)، مع أنّه يمكن- فيما يبدو لي- استعمال غير هذه الصيغة العامة وسيلة للاستبدال، فمثلاً: التضمين في الأفعال من الاستبدال، واستعمال أسماء الأفعال من الاستبدال أيضاً، وجزم المضارع في جواب الطلب داخلٌ فيه، وإذا حلَّ العامل عمل الفعل

محلَّ الفعل الذي من صيغته فهو استبدالٌ بلا شك، وإذا سئِل شخص مثلاً لتقريره: أقابلت فلانًا أمس؟ فأجاب: حدث، أو حصل، كان الفعل المذكور في الجواب بديلاً عن الفعل الوارد في السؤال، فكأنه قال: قابلته.

بالإضافة إلى أنَّ (كان) التامة في سياق نفي قد تأتي بديلاً لأي فعل... أما الاستبدال العباري فيدخل فيه: التنوين المعوِّض عن جملة اللاحق للظرف (إذ)، وكذلك أحرف الجواب التي "تحذف الجمل بعدها كثيرًا، وتقوم هي في اللفظ مقام تلك الجمل"[٢٠].

وقد جاء هذا التوسع في مفهوم الاستبدال النصي في بعض الرسائل والدراسات النصية الحديثة، من ذلك ما ذكره الأستاذ محمود الهواوشة في رسالته للماجستير أنّ ثمة استبدالاً قولياً في قوله تعالى: (فلمَّا جَاءِ السَّحَرَةُ قالوا لِفِرْعَوْنَ أئِنَّ لَنا لأجْرًا إن كنَّا نَحْنُ الْغَالِبِين قالَ نَعَمْ وَإنَّكمْ إذا لَّمِنَ الْمُقرَّبين)[٢١]، فقد استبدل القول السابق بـ(نَعَمْ)[٢٢].

وذكر أيضاً أنّ "من الاستبدال في سورة يوسف (قميص يوسف)، فالقميص الأول بدم كذب، والثاني مقدود، والثالث فيه شفاء، والأثر المشترك يوسف عليه السلام، فالقمصان الثلاثة له؛ مما أدى إلى ربط ثلاث مقاطع نصية مع بعضها"[٢٣].

من جهة أخرى توسَّع الأستاذ أحمد غنيم الشمري في ذكر الاستبدال الفعلي في رسالته العلمية، حيث ذكر أنّ هذا النوع من الاستبدال يتم فيه "استبدال فعل بفعل آخر، كاستبدال فعل مضارع بفعل ماضٍ، أو فعل ماضٍ بفعل مضارع"[٢٤].

وذكر أيضاً أن من الاستبدال الاسمي استبدال الضمائر بالأسماء الظاهرة، وكذلك استبدال أسماء الإشارة والمصادر بها، ثم ذكر أن الاستبدال قد يكون تعويضاً عن حذف المضاف إليه في لفظ (كلّ) وأخواتها[٢٥]، وهو مطابق لما ذكره الدكتور الشاعر فيما سبق.

ويبدو أنّ القول بتوسع الاستبدال على هذا النحو قولٌ فيه نظر، وذلك إذا ما تأملنا تعريف الاستبدال في اصطلاح نحو النص، إذ إنّ الاستبدال النصي هو "تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[٢٦]، وهو أيضاً وسيلة اتساق نصي، أما التوسعات المذكورة في الفقرات السابقة، فأكثرها لا ينطبق عليه تعريف الاستبدال النصي، إذ بعضها يفقد وجود العنصر المعوّض في النص، وبعضها لا يؤدي اتساقاً نصّياً، وبعضها يفقد كِلا الأمرين، فالإحالات لغير مذكور تكون في نحو النص من باب الإحالة المقامية، أو الإحالة لمرجع متصيَّد[٢٧]، أما الاستعارات وما يكون في القراءات القرآنية وروايات الشّعر من اختلاف الألفاظ، إضافة إلى التضمين في الأفعال، فكلّ ذلك يفقد العنصر المعوّض في السياق اللغوي الواحد الذي يفترض وجوده داخل النص.

وأما استعمال أسماء الأفعال، وإحلال العامل عمل الفعل محلَّ الفعل الذي من صيغته، وكذلك إحلال المصادر محلّ الأفعال، فليس ذلك إلا من قبيل الاختزال لأداء الوظيفة نفسها، "وإنما اختزل الفعل ههنا؛ لأنهم جعلوا هذا بدلا من اللفظ بالفعل، كما فعلوا ذلك في باب الدعاء، كأنّ قولك: حمداً، في موضع: أحمَدُ الله، وقولك: عجباً منه، في موضع أعجَبُ منهُ"[٢٨]. ويندرج ذلك أيضاً ضمن المبدأ التوزيعي في المنهج الوصفي الشكلي؛ وذلك لانتساب كلٍّ منهما إلى صنف واحد هو الفعلية، وهو ما جوَّز لهما الاستبدال في الموضع أو الوظيفة[٢٩].

وأما مجيء القمصان الثلاثة في سورة يوسف، فهو في نحو النص داخل ضمن التكرار الكلي مع وحدة المرجع، وكذلك الإتيان بفعل مضارع مكان فعل ماضٍ، أو بفعل ماضٍ بفعل

مضارع، ونحو ذلك، فهو خارج عن مفهوم الاستبدال النصي، ومعنًى في باب الالتفات البلاغي.

وأما تنوين العِوَض عن الأسماء والجمل، وإقامة الصفة مقام الموصوف، والمضاف إليه مقام المضاف، واستبدال الأسماء والحروف بالضمائر، وما تؤديه أحرف الجواب في الكلام، فكل هذا يدخل في مسائل الحذف النصي، لا الاستبدال.

وإذا ما أردنا ذكر أهم الأشياء التي تتعارض مع ما عني به الاستبدال النصي على الحقيقة فيما يلي:

١- تعارض مع مفاهيم نحوية وصرفية وبلاغية قديمة، وقد أشير إليه فيما سبق.

٢- تعارض مع مفاهيم في إطار نحو النص واللسانيات الحديثة.

وذلك النوع الثاني من التعارض هو ما يمكن الحديث عنه في المطالب الباقية.

المطلب الثاني- العلاقة بين الاستبدال والإحالة:

تطرق النصيون إلى قضية التشابه بين الاستبدال والإحالة، وبينوا الفروقات بين كلٍّ منهما، ومن أشهر العبارات المتداولة في الأبحاث النصية في التفريق بين الاستبدال والإحالة ما ذكره الدكتور محمد خطابي في قوله: "ويعد الاستبدال- شأنه في ذلك شأن الإحالة- علاقة اتساق، إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى (النحوي- المعجمي)، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي"(٣٠). وفي رأيي أن هذه العبارة عبارة مجملة، ولذلك هي تحتاج إلى تضييق وتوضيح؛ إضافة إلى اللبس بين المقولة السابقة وبين ما هو معلوم من أنّ كون الإحالة والاستبدال عنصرين من عناصر السبك النحوي(٣١).

وقد أكمل الدكتور خطابي تفريقه بين الاستبدال والإحالة، بأن الأول "يستخلص من كونه (عملية داخل النص) أنه نصي، على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدم"(٣٢).

كما وضح بعد ذلك الفرق بين طبيعة العلاقة التي تكون بين عنصرَي الاستبدال، والثانية التي تكون بين عنصرَي الإحالة، حيث يقول: "لئن كانت العلاقة بين عنصرَي الإحالة (المحيل والمحال إليه) علاقة تطابق، فإن العلاقة بين عنصرَي الاستبدال (المستبدَل والمستبدِل) علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد"(٣٣). ثم ضرب مثالا يوضح فيه المقصود بالاستبعاد، هذا المثال هو:

My axe is too blunt. I must go a sharper one.

(فأسي جدّ مثلومة، يجب أن أقتني أخرى حادّة).

ثم قال: "يتجلى التقابل في هذه الجملة بين الوصفين (blunt)، و(sharper)، فالوصفان مختلفان، وعن هذا الاختلاف نتج التقابل، مما أدى إلى إعادة التحديد (أي تحديد الفأس) الذي ترتب عنه الاستبعاد، (إي استبعاد وصف، وإحلال وصف آخر محله). وبناءً عليه، فإن المستبدَل يحتفظ بجزء من المعلومة السالفة فحسب، أي الفأس، مستبعدا جزءا آخر، وهو الوصف (جدّ مثلومة). وبناءً عليه يتضح أن العلاقة الاستبدالية لا تقوم على التطابق، وإنما على التقابل والاختلاف الذي ينتج عنه الاستبعاد دون أن يلغي ذلك وظيفة الاتساق التي تقوم بها العناصر (do, so, one)، بل من تلك العلاقة قيمتها الاتساقية"(٣٤). وأظن أن في توضيح هذه العلاقة إزالة لبعض الإشكال الذي قد يقع في الخلط بين الاستبدال والإحالة، إلا أنّ هناك حالات كثيرة قد تكون العلاقة بين عنصرَي الاستبدال علاقة تطابق تام، شأنها شأن العلاقة بين عنصرَي الإحالة، وذلك في معظم حالات الاستبدال الفعلي، وذلك كأن يقال لطالب: هل ذاكرت جيدا، فيقول: (فعلت)، أي ذاكرت جيدا. وإذا ما تحقق ذلك التطابق، فإن

عنصرَي الاستبدال "يقعان حسب هارفج- في علاقة استبدال نحوية بعضهما ببعض، ويوجد في حالة الاستبدال النحوي بين المستبدَل به والمستبدِل منه مطابقة إحالية"[٣٥]. وفي هذه الحالة يراعى أن يكون الاستبدالُ- كما حدده التعريف النصي- تعويضَ عنصر بعنصر آخر موجود داخل النص، وأنّ العنصر المعوَّض يسبق العنصر المعوِّض في النص، ويكون ذلك بألفاظ معينة مخصوصة.

وفي الإطار نفسه يشير بعض الباحثين إلى عدم الممانعة من تفسير بعض حالات السبك النصي بوسيلتين مختلفتين معاً-كالإحالة والاستبدال- إذا كان المرجع واقعاً داخل النص؛ ولذلك يتقرر وجود تداخل بين الإحالة والاستبدال في ألفاظ معينة، من مثل الضمائر، وأسماء الإشارة، فهي عناصر يمكن أن يستبدل بها، كما أنها من عناصر الإحالة، "ومن ثم فهناك بعض حالات السبك النصي يمكن تفسيرها بوسيلتين من وسائل السبك في آن واحد إذا تداخلت سمات كل منهما مع الأخرى. إلا أن هناك فرقا بين الاستبدال والإحالة، فالاستبدال لا يقع إلا داخل النص على حين تقع الإحالة داخل النص وخارجه"[٣٦].

المطلب الثالث- العلاقة بين الاستبدال والتكرار:

يلاحظ في الآونة الأخيرة إدراج ما يكون من تكرار لأفعال مترادفة المعنى ضمن مباحث الاستبدال الفعلي في بعض الدراسات والرسائل العلمية، فمن ذلك ما ذكرته الباحثة سميرة قاسمي في المبحث الثاني من رسالتها للماجستير الذي جاء بعنوان (الاستبدال الفعلي)، تقول: "بما أن الاستبدال الفعلي يتمثل في استبدال فعل بفعل، فإنه بعد دراستي لبعض الآيات، فقد استخلصت فروعاً كثيرة لهذا النوع، نذكر منها: استبدال فعل ماضٍ بنظيره، مثل (انشقت) و(انفطرت)، واستبدال الفعل الماضي بالفعل المضارع، مثل (سَبَّحَ) و(يُسَبِّحُ)، واستبدال الفعل الماضي بنظيره، مثل (انفَجَرَت) و(انبَجَسَت)، واستبدال الفعل المبني للمعلوم بالفعل المبني للمجهول، مثل (طَبَعَ) و(طُبِعَ)، فكل هذه الصّيغ الفعلية كانت دالة على نوع من الاستبدال، وهو الاستبدال الفعلي، وقد حقّق هذا الصّنف جزءاً كبيراً من الاتّساق والانتظام داخل النّص القرآني"[٣٧].

وأرى أن ما ذكرته الباحثة من استبدال فعل ماضٍ بنظيره، مثل (انشَقّت) و(انفَطَرَت)، ومثل (انفَجَرَت) و(انبَجَسَت)، هو من قبيل التكرار بالمرادف، لا الاستبدال الفعلي[٣٨]. وهو إن صح التعبير استبدالٌ دلالي، لا استبدال نحوي تركيبي[٣٩].

وأما استبدال الفعل الماضي بالفعل المضارع، مثل (سَبَّحَ) و(يُسَبِّحُ)، واستبدال الفعل المبني للمعلوم بالفعل المبني للمجهول، مثل (طَبَعَ) و(طُبِعَ)، فهذا من حيث المعجم تكرار محض، إلا أنه يندرج من حيث التركيب تحت قضية الالتفات، إذ إنّ من الالتفات ما يكون من الانتقال من الماضي إلى المستقبل والعكس[٤٠].

المطلب الرابع- العلاقة بين الاستبدال النصي والاستبدال الصوتي:

يقع الخلط في كثير من الدراسات الحديثة بين عنصر الاستبدال النحوي الذي هو أحد وسائل الترابط النصي، وبين كلٍّ من الإبدال والإعلال والإدغام التي تمس بنية الكلمة، وتُبحَث في علم الصَّرف، والمجموعة فيما يسمى في علم اللسانيات (الاستبدال الصوتي)[٤١]، وهو مختلف عن استبدال نحو النص (الاستبدال النحوي).

وقد يرتبط ذلك الاستبدال الصوتي بلغات العرب، وكذلك بطرائق لفظهم المتعددة للأصوات المتقاربة المخرج، فهو يقوم على تقارب الأصوات المستبدلة من حيث المخرج،

وفي ذلك يقول الثعالبي (٤٢٩هـ): "من سنن العرب إبدال الحروف، وإقامة بعضها مكان بعض، في قولهم: مَدَحَ، ومَدَهَ، وجَدَّ، وجَذ، وخَرَمَ، وخَزَمَ، وصَقعَ الديك، وسَقعَ، وفاضَ: أي مات، وفاظ، وفلقَ اللهُ الصبحَ، وفرَقهُ. وفي قولهم: صِراط وسِراط، ومُسَيطِر مُصَيطِر، ومَكة وبَكة"(٤٢).

وقد أدرج ابن جني (٣٩٢هـ) ذلك النوع من الاستبدال تحت عنوان (تحريف الحرف)، وقال: "قالوا: لا بَلْ، ولا بَنْ، وقالوا: قام زيدٌ فمَّ عمرٌو، كقولك: ثُمَّ عمرٌو. وهذا وإن كان بدلا، فإنه ضَرب من التحريف"(٤٣).

وقد يرتبط الاستبدال الصوتي أيضاً بقلب الأصوات داخل بنية الكلمة، وهو ما يعرف اليوم بـ(القلب المكاني)، يقول الثعالبي: "من سنن العرب القلب في الكلمة وفي القصة. أما في الكملة فكقولهم: جَذَبَ وجَبَذ، وضَبَّ وبَضَّ، وبَكلَ ولَبَكَ، وطَمَسَ وطَسَمَ..."(٤٤).

ويرتبط الاستبدال الصوتي أحياناً بالسياق والمعنى، إذ إنّ الاستبدال الصوتي السياقي "هو ذلك الأداء اللغوي الذي يستبدل فيه حرف مكان حرف آخر يترتب عنه معاني سياقية مختلفة"(٤٥)، وذلك مثل الاستبدال الواقع بين الصاد والضاد في (تحاضُّون) و(تحاصُّون)، ومثل الاستبدال الواقع بين الحاء والجيم في (ثُجَّاجاً) و(ثُحَّاحاً)، مما ينتج عنه معاني مختلفة. أما الاستبدال النحوي النصي فيكون "على مستوى التركيب اللغوي، حيث يتم استبدال كلمة بكلمة واحدة تقدمت عليها في التركيب، أو بكلمتين أو أكثر، أو استبدال كلمة بجملة؛ طلباً للاختصار، ومنعاً للتكرار"(٤٦). غير أن جميع تلك الاستبدالات تقوم "على أساس استبدال العناصر اللغوية بعضها ببعض، سواء أكانت هذه العناصر أصواتاً أم كلمات (أفعالاً أو أسماءً أو حروفاً) أم جملاً؛ ولذلك تتعدد أشكال الاستبدال ما بين صوتي ونحوي ودلالي"(٤٧).

وعلى كلٍّ، يتضح مما سبق أنّ الاستبدال الصوتي لا ينطبق عليه مفهوم الاستبدال النحوي الذي هو وسيلة من وسائل الترابط النصي في نحو النص، لكنه "يعدّ أحد وسائل تكثير وتنويع المعنى اللغوي بعامة، والصرفي بخاصة؛ لأنه بحق يولد جمالات لفظية متسقة ومنسقة تنسيقاً نغميّاً وتنغيميّاً"(٤٨).

المبحث الثاني- تحقق الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم:

المطلب الأول- صور الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم:

يتحقق الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم من خلال أفعال محددة، حيث تأتي هذه الأفعال مكان فعل خاص، أو مجموعة من الأفعال، أو من المعلومات المبنية على أحداث، فتكون تلك الأفعال- أو مجموعة المعلومات والأحداث- المراد الاستبدال بها، قد سبقت فعل الاستبدال في النص، أو استخلصت من السياق، وقد تأتي في مواضع قليلة من القرآن الكريم لاحقة فعلَ الاستبدال.

من شواهد مجيء فعل الاستبدال مكان فعل خاص سبقه، إتيان الفعل (فعَلَ)- بأيٍّ من تصارفيه- مكانَ فعل من الأفعال، وذلك كما في قوله تعالى: (وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذا مِّنَ الظَّالِمِينَ)(٤٩). حيث جاء الفعل الماضي (فَعَلْتَ) مكان فعل خاص سبقه، وهو (دَعَا)؛ وذلك للإيجاز، ولكراهة تكرار ذلك الفعل، ومعناه: "فإن دَعَوْت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرّك، فكنى عنه بالفعل إيجازاً"(٥٠).

وقد يأتي الفعل المستبدَل مكان مجموعة من الأفعال، وذلك كقوله تعالى: (اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)(٥١)، إذ يحلُّ الفعل المضارع (يَفْعَلُ) في الآية السابقة مكانَ مجموعة من الأفعال السابقة، والتقدير: هل مِنْ شركائكم مَنْ يَخلقُ، أو يَرزُقُ، أو يُميتُ، أو يُحيي؟ إذ

ذكر سبحانه وتعالى أولا أفعاله الخاصة به في خطابه للكفار، "وهي الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، ثم استفهم على جهة التقرير لهم والتوبيخ"[٥٢].

وقد يأتي الفعل المستبدَل مكان أفعال مبنية على أحداث، وذلك كقوله تعالى: (قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا قالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كادُوا يَفْعَلُونَ)[٥٣]، فهنا جاء الفعل المضارع (يَفْعَلُونَ) مكان فعل خاص مبني على أحداث مرتبطة بما سبق من الآيات، أي ذبح البقرة[٥٤]. والمعنى: فذَبحوها وما كادُوا يَذبَحونها. وقد اقترن بالفعل المستبدَل فعل المقاربة مع النفي؛ للدلالة على وقوع الفعل بعد إبطاء، فقوله: (فَذَبَحُوهَا وَمَا كادُوا يَفْعَلُونَ)، أي فعلوا الذبح بعد إبطاء[٥٥].

وقد يكون الفعل المستبدَل به غير مذكور في موضع سابق، إنما مستخلص من سياق الآيات، وذلك كقوله عز وجل: (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ٦ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ)[٥٦]، ففي الآيات السابقة من سورة البروج جاء الفعل (يَفْعَلُونَ) مكان فعل الإحراق المستخلص من معنى الآيات وسياقها، أي: وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من الإحراق[٥٧]، أو وهم على ما يحرِّقون شهود. وقد يكون هذا الفعل مكان مجموعة من الأفعال المرتبطة بقصة أصحاب الأخدود، أي: وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من التعذيب والصد عن الإيمان شهود حاضرون[٥٨]، وهذا الفعل "يعني: الكفار، كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين ، فمن أبى ألقوهُ في النار. وقيل: (على) بمعنى: (مع)، أي: وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود"[٥٩].

وقد يكون ذلك فعل الاستبدال مستخلصاً من المعنى المناقض لفعل سابق، وذلك كما في قوله تعالى: (قالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ)[٦٠]، حيث حَلّ فعل الاستبدال المسبوق بحرف النفي، وهو (لَمْ يَفْعَلْ) محلَّ فعل مستخلص من المعنى المناقض للفعل (اسْتَعْصَمَ) الذي سبقه، وذلك الفعل المستخلص هو (يُطاوِع)؛ لأن المراد نقيض الفعل (اسْتَعْصَمَ) المذكور في الآية، فيكون المعنى: "لئن لم يطاوعْني على ما أدعُوهُ إليه من حاجتي إليه، لَيُسْجَنَنَّ"[٦١].

ومن جهة أخرى، قد يأتي الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم مكانَ عنصر لاحق، وذلك بأن يأتي فعل الاستبدال في بداية الكلام، ثم يوضح المستبدَل به في آخر الكلام؛ فيحقق أغراضاً تركيبية ودلالية وبلاغية، كالتشويق، وشد الانتباه، وترقب الخبر، إضافة إلى رفع درجة الترابط النصي والانسجام المفهومي بين أول الآيات وآخرها، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)[٦٢]، فبدأ جلَّ وعلا بقوله: (كَيْفَ فَعَلَ) تشويقاً لمعرفة ذلك الفعل، أو إيحاءً لعظمته، ثم أخذ بذكر هؤلاء الأقوام الذين وقع عليهم ذلك الفعل، وعَدَّد صفاتهم الخَلْقِيّة والخُلُقِيّة، فذكر عاداً، وثمود، وقوم فرعون، أصحاب القوة والعتاد، وذكر أنهم طغوا وتكبروا وأفسدوا في بلادهم، فكان عاقبتهم أن الله فعَلَ بهم ذلك الفعل، المستخلص من قوله تعالى في آخر الآيات: (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)، وهو تأويل فعل الاستبدال الذي جاء في بداية الكلام، أي: ألم تعلم كيف عَذَبهم ربُّكَ وأهلككم؟ فقوله تعالى إذن: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ)، قد أتى "على وجه الخبر، أي: أهلكهم حين كذبوا رسولهم"[٦٣]، والخبر ههنا بفعل الاستبدال يؤدي أيضاً

غرض التخويف من المآل العظيم الذي ظهر تأويله في نهاية الكلام، أي: "يخوف أهل مكة، يعني كيف أهلكهم، وهم كانوا أطول أعمارا وأشدَّ قوة من هؤلاء"(٦٤).

ويجري على ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ)(٦٥)، حيث جاء فعل الاستبدال في بداية السورة بقوله تعالى: (كَيْفَ فَعَلَ)، على سبيل التذكير، ثم بَيَّنَ عز وجل في بقية آيات السورة ماذا فعل بهم، والمعنى: ألم ترَ "كيف عاقب ربك أصحاب الفيل بالحجارة حين أرادوا هدم الكعبة"(٦٦) ، فأتت بقية الآيات مفسِّرة لفعل الاستبدال الذي جاء في أول السورة.

وقد تبين فيما سبق كيف حقق الفعل (فَعَل) الاستبدال الفعلي النصي في القرآن الكريم، وهو الفعل الأكثر استخداما في ذلك، غير أنّ هناك أفعالا أخرى يتحقق من خلالها الاستبدال الفعلي، فمن تلك الأفعال الفعل (عمِلَ)، فقد تحقق به الاستبدال الفعلي في مواضع معينة من القرآن الكريم، وذلك كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(٦٧)، فهنا جاء الفعل (تَعْمَلُونَ) مكان سلسلة من الأحداث، أي: "والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضا أيها المهاجرون والأنصار، وترك ولاية من آمن ولم يهاجر، ونصرتكم إياهم عند استنصاركم في الدين، وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها عليكم بصيرٌ، يراه ويبصره، فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيرهِ شيء"(٦٨).

ومن تلك الأفعال التي تحقق من خلالها الاستبدال الفعلي الفعلُ (كسَبَ)، وذلك كقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)(٦٩)، حيث جاء الفعل (يَكْسِبُونَ) مكان سلسلة من أحداث التكذيب والعصيان، فيكون معناه: بما كذبوا الرسل(٧٠)، أو بما عَمِلوا من الكفر والمعاصي(٧١)، أي بما كفروا وعَصَوا، وذلك باستخلاص النقيض من الفعلين (آمَنُوا)، (وَاتَّقَوا).

ومن تلك الأفعال التي أسهمت في تحقيق الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم الفعلُ (قدَّمَ)، وذلك كقوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ)(٧٢)، إذ جاء الفعل (قدَّمَتْ يَدَاهُ) بمعنى (عمِلَت يَدَاهُ) من الذنوب(٧٣)، فجاء مكان مجموعة من الأفعال السابقة والمؤولة في الآية، من مثل (ظَلَمَ)، و(أَعْرَضَ)، و(نَسِيَ)، وما في معناها مما لم يذكر، وكذلك مما يترتب على تلك الأفعال من التكذيب والمعاصي، "أي ترك ما اكتسبت من الذنوب المهلكة له فلم يتب منها"(٧٤).

ومثل ذلك قوله أيضا: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ٨ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ٩ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ)(٧٥)، فقد جاء الفعل (قَدَّمَتْ يَدَاكَ) هنا بمعنى عملت يداكَ من كل ما سبق ذكره في الآيات، وما يترتب على المذكور من الأفعال، والمعنى أنّ الظالم الذي تقدمت أوصافه في الآيات يقال له "إذا أذيق عذاب النار يوم القيامة: هذا العذاب الذي نذيقكه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام واكتسبته فيها من الإجرام"(٧٦) . فتكون الأفعال المستبدَل بها في الآية محصورة في الفعلين (يُجَادِلُ)، و(يُضِلَّ) وما يترتب عليهما من أفعال الضلال، أي: ذلك بما جادلت بغير علم، وأضللتَ عن سبيل الله، وأجرمت، وأذنبت... ويلاحظ من الموضعين السابقين للفعل (قدَّمَ) ارتباط دلالته بفاعله (اليدان)، وهي ذات معنى سلبي يوحي بالظلم وارتكاب الخطايا.

أما في المواضع القرآنية التي لم يرتبط فيها الفعل (قدَّمَ) باليدين، فقد كانت ذات معاني إيجابية موحية بالإيمان والطاعة، وذلك من مثل قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيم)[٧٧]، ففي الآية السابقة جاء الفعل (تُقَدِّمُوا) بمعنى (عَمِلُوا)، "يعني ما عملوا من الأعمال من الخير في الدنيا"[٧٨]. ويكون بذلك المعنى مستبدَلاً عن سلسلة من المعلومات المرتبطة بالأحداث الواقعة في الآية، يعني "ما تصدقتم من الصدقة، وتعملون من العمل الصالح، تجدوه عند الله محفوظاً يجزيكم به"[٧٩]، ويمكن أن يكون المعنى بصورة أكثر تفصيلاً: وما تقرأوا من القرآن، وتضربُوا في الأرض تبتغونَ فضلَ الله، وتُقاتِلوا، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتُقرِضُوا اللهَ قرضاً حَسَناً، تجدوا ثوابَهُ خيراً وأعظم عند الله. وفي ذلك يقول الطبري (ت٣١٠هـ): "وأما قولهُ: (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ)، فإنه يعني جل ثناؤه بذلك: ومهما تعمَلوا من عمل صالح في أيام حياتكم، فتقدموه قبل وفاتكم ذخراً لأنفسِكم في معادكم، تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة، فيجازيكم به"[٨٠] . وقد حصر بعض المفسرين استبدال الفعل (قدَّمَ) ههنا بالصَّدَقة[٨١]، فيكون الفعل المستبدَل به (تُقرِض)، أو ما يكون بمعناه الحقيقي، كالفعل (يَتصَدَّق)، أو الفعل (يُنفِق)[٨٢].

ويتبين من خلال ما سبق أنّ الأفعال المستبدَلة في القرآن الكريم أفعال قليلة معدودة، وهي غالباً بمعنى (فَعَلَ) أو (عَمِلَ)، وقد تأتي لتحل محل فعل محدد، أو محل مجموعة محددة من الأفعال السابقة في الآيات، أو بما يفهم من سياق الأحداث.

وتجدر الإشارة إلى أن تلك الأفعال التي يراد بها الاستبدال، قد جاءت في القرآن الكريم على صورها الثلاث: الماضي، والمضارع، والأمر، فمن مجيئها على صورة الماضي قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين)[٨٣]، أي: على ما أصبتم. ومن مجيئها على صورة المضارع قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون)[٨٤]، أي: ومَنْ تُلهِهِ أمواله وأولاده. ومن مجيئها على صورة الأمر قوله تعالى: (قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِين}[٨٥]، أي: اذبحني امتثالاً لأمر الله.

المبحث الثالث: تعاضد الاستبدال الفعلي مع عناصر التماسك النصي:

ارتبطت أفعال الاستبدال في القرآن الكريم بمجموعة من عناصر الترابط النصي؛ بما يعضّد تماسك النص القرآني وانسجامه، ويحقق الدلالة العميقة المقصودة في الآيات.

فيأتي الاستبدال الفعلي في بعض الآيات القرآنية مقترناً بالإحالة النصية، ويأتي أحياناً مع التكرار النصي، وقد يكون مع الاستبدال الفعلي عنصر محذوف، فيجتمع الاستبدال والحذف النصيّان في جملة واحدة، بما يعد ظاهرة من الظواهر اللغوية المرتبطة بعنصر الاستبدال، وكلُّ ذلك يحقق الترابط النصي في الخطاب القرآني.

ويمكن عرض هذه الظواهر النصية المرتبطة باقتران الاستبدال الفعلي مع العناصر الأخرى من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول- اقتران الاستبدال الفعلي بالإحالة:

تعد الإحالة وسيلة من وسائل الترابط النصي، وأداة من أدوات الاتساق[٨٦]، وهي مشابهة إلى حد كبير للاستبدال، فكلاهما يشير إلى مرجع سابق أو لاحق في النص، فلا بد

من العودة إلى ذلك المرجع لمعرفة تأويلها، إلا أنّ الإحالة تختلف عن الاستبدال في كونها تحتمل أن يكون مرجعها خارج النص، بعكس الاستبدال الذي يجب أن يكون مرجعه داخليّاً.

والإحالة بمعناها النصي يمكن أن تتحقق باستخدام الضمائر، وأسماء الإشارة، والموصولات، وأدوات المقارنة والتشبيه[٨٧]، وقد لوحظ كثرة اقتران الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم بتلك الوسيلة على تنوع صورها؛ لتأدية الترابط النصي في الآيات القرآنية، وبما يجعل هذا الاقتران ظاهرة من الظواهر اللغوية للخطاب القرآني، ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

١- اقتران الاستبدال الفعلي بالإحالة الضميرية:

يلاحظ في بعض الآيات القرآنية مجيء الاستبدال الفعلي مقترناً بالضمير، ولا سيما الضمير الذي يكون مرجعه قبْليّاً، وهو أكثر أنواع الإحالات انتشاراً ودوراناً في الكلام[٨٨] ، فينشأ تعاضدٌ بين عنصرين من عناصر التماسك النصي، وهما الاستبدال الفعلي، والإحالة الداخلية القبلية بالضمير؛ ليعزز الترابط النصي والتركيبي في الآية، ومن ذلك قوله تعالى: (وَكذلِكَ جَعَلْنا لِكلِّ نبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنسِ وَالجنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فعَلُوهُ فذَرْهُمْ وَمَا يَفْترُون)[٨٩]، حيث جاء فعل الاستبدال مقترناً بواو الجماعة، وكذلك بهاء الغائب، وهو قوله: (ما فعَلُوهُ)، ليؤدي الفعل المستبدَل- مع الإحالتين الداخليتين القبليتين بالضميرين المقترنين به- أداءً مزدوجاً في تقوية السبك والحبك في الآية، والمعنى "أي: لو شاء الله ما أوحى الشياطينُ إلى الإنس"[٩٠]، فعبّر عن الفعل المستبدَل به، وهو (أوحى) الذي جاء على صورة الماضي في أول الآية، بفعل الاستبدال المقترن بالضميرين؛ ليشمل المستبدَلُ الفعلَ والفاعلَ والمفعولَ في لفظ موجز شامل.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: (وَكذلِكَ زَيَّنَ لِكثِيرٍ مِّنَ المُشْرِكِينَ قتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللهُ مَا فعَلُوهُ فذَرْهُمْ وَمَا يَفْترُون)[٩١] ، فهنا أيضاً جاء فعل الاستبدال مقترناً بواو الجماعة وهاء الغائب، وهو قوله: (ما فعَلُوهُ)، وفيه من تأدية التماسك والانسجام ما في الآية السابقة، وقد حلّ الفعل ههنا محلّ فعل سابق، هو (زَيَّنَ)، أو محل الفعل (قتل) المستخلص من مصدره المذكور في الآية، "أي: ولو شاء الله تعالى ألا يفعل الشركاءُ ذلك التزيينَ، أو المشركون ذلك القتلَ، لما فعلوه، وذلك بأن يغيّر خلقهم وسننه الحكيمة فيهم"[٩٢]، وقال أبو حيان (٧٤٥هـ): "الظاهر عود الضمير على القتل؛ لأنه المصرّح به والمحدّث عنه، والواو في (فعَلُوهُ) عائد على الكثير. وقيل: الهاء للتزيين، والواو للشركاء. وقيل: الهاء للبس، وهذا بعيد. وقيل: لجميع ذلك إن جعلت الضمير جار مجرى الإشارة"[٩٣].

وبذلك يكون المعنى عند تأويل الاستبدال الفعلي: ولو شاء الله ما قتلَ كثيرٌ من المشركين أولادَهُم، أو ما زَيَّنَ الشركاءُ القتلَ، أو لم يلبس الشركاءُ على كثيرٍ من المشركين دينَهم.

ومن ذلك قوله أيضاً: (وَالذينَ كفَرُوا بَعْضُهُمْ أوْلِيَاءُ بَعْضٍ إلاّ تفْعَلُوهُ تكن فِتنة فِي الأرْضِ وَفسَادٌ كبِير)[٩٤]، حيث جاء فعل الاستبدال مقترناً بواو الجماعة وهاء الغائب أيضاً، وهو قوله: (إلاّ تفعَلُوهُ)، وقد جاء الفعل ههنا وما اقترن به مكان أفعال سابقة، هي (آمَنُوا) و(هَاجَرُوا) و(جَاهَدُوا) و(آوَوا) و(نَصَرُوا) التي جاءت في الآية التي قبل هذه الآية من قوله تعالى: (إنَّ الذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بأمْوَالِهِمْ وَأنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أوْلِيَاء بَعْضٍ)[٩٥] والمعنى: إلا تؤمِنُوا وتُهاجِرُوا وتُجاهِدُوا وتُؤوُوا وتنصُروا تقَعْ فِتنة وَفسادٌ. وفي ذلك قال مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ): "قوله: (إلا تفعَلُوهُ)،

الهاء تعود على التناصر، وقيل: تعود على التوارث، أي: إلا تفعلوا التوارث على القرابات كما تعبدكم الله، وتتركوا التوارث بالهجرة، تكن في الأرض فتنة وفسادٌ، إلا تفعلوا التناصر في الدين، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير بالكفر"[٩٦].

ومن ذلك قوله أيضاً: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي)[٩٧]، حيث جاء فعل الاستبدال مقترناً بتاء الفاعل وهاء الغائب، وهو قوله: (وَمَا فَعَلْتُهُ)، ليحل محلّ أفعال سابقة، هي (خَرَقَ) و(قتلَ) و(أقامَ) في قصص الخضِر الثلاث مع موسى عليه السلام، وهي خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، فعبّر عن الجميع بفعل الاستبدال المقترن بالفاعل والمفعول؛ ليحقق الترابط النصي بين الآيات مع إيجاز محمود؛ وذلك نأياً عن التكرار لما ورد من تفاصيل القصص، والهاء ههنا تكون بمعنى اسم الإشارة، أي: وما فعلتُ هذا[٩٨]، وهي تعود على مصادر الأفعال الثلاثة جميعها، "أي: ما فعلتُ جميعَ ما رأيت يا موسى من عند نفسي، إنما فعلته عن أمر الله"[٩٩].

٢- اقتران الاستبدال الفعلي بالإحالة الموصولية:

يلاحظ في بعض الآيات القرآنية مجيء الاستبدال الفعلي مقترناً بالاسم الموصول، فينشأ من جراء ذلك تعاضد بين عنصرين من عناصر التماسك النصي، وهما الاستبدال الفعلي، والإحالة الموصولية؛ بما يجعل النص أقوى تركيباً، وأعمق دلالة، وقد يكون ذلك الموصول مفعولاً لفعل الاستبدال، ومن ذلك قوله تعالى: (قالوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُون)[١٠٠]، فهنا جاء الفعل المقترن بالموصول (فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُون) مكان فعل الذبح، أي: فاذبَحوا البقرة.

وفي هذا الموضع لا يمكن تأويل الفعل المستبدَل بانعزال عن مفعوله الموصول؛ وذلك لارتباطهما دلالياً، فلا يمكن أن يكون المعنى: فاذبَحوا ما تؤمرُون؛ لأن هناك تعالقاً تركيبياً ومفهومياً بين الاستبدال الفعلي والإحالة الموصولية في هذا الموضع- وكذلك ما يجري على نحوه من المواضع الأخرى-، فأما من الناحية التركيبية، فقد اقترن الموصول بفعل الاستبدال من وجهين، أحدهما أن يكون الموصول اسماً، وعائده مقدّر، والثاني أن يكون الموصول حرفاً بلا عائد، وعلى هذا يكون في المعنى تأويلان: "الأول: فافعلوا ما تؤمرون به، من قولك: أمرتك الخير[١٠١]. والثاني: أن يكون المراد فافعلوا أمركم، بمعنى مأموركم، تسمية للمفعول بالمصدر، كضرب الأمير"[١٠٢]. وأما من الناحية المفهومية، فإنّ السياق يدل على فعل الذبح الذي جاء في الآية السابقة لهذه الآية من قوله تعالى: (وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تذبَحُوا بَقَرَةً)[١٠٣]، فيكون المعنى على هذا: فاذبَحوا الذي أمركم الله بذبحه، أي من ذبح البقرة[١٠٤].

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: (وَلَوْ شَاء اللهُ مَا اقْتتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كفَرَ وَلَوْ شَاء اللهُ مَا اقْتتَلُوا وَلَـكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيد)[١٠٥]، فهنا أيضاً جاء الفعل المقترن بمفعوله الموصول (يَفْعَلُ مَا يُرِيد) مكان أفعال مستخلصة من معنى الآية، "يعني يعصم من يشاء من الاختلاف، ويخذل من يشاء"[١٠٦]، أو يعني "يوفق من يشاء فيطيع، ويخذل من يشاء فيعصي"[١٠٧]. وعلى هذا يكون مرجع الموصول إلى المنع أو إلى الاختلاف والاقتتال، أي: "أراد ألا يمنعهم، أو أراد اختلافهم واقتتالهم"[١٠٨].

ومنه أيضاً قوله عز وجل: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِين)[١٠٩]،

إذ جاء الفعل المقترن بالموصول (افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) مكان فعل الذبح، أي (اذبَحني)، يقول الذبيح لأبيه إبراهيم عليه السلام: "يا أبتِ افعل ما يأمُرُكَ به ربُّك من ذَبْحي، ستجدُني إن شاءَ اللهُ من الصابرين"(١١٠).

وقد يسبق الموصولُ الفعلَ المستبدَلَ، فتكون جملة الاستبدال الفعلي صلة للموصول، ومن ذلك قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)(١١١)، حيث حقّقَ الموصول مع ما بعده (مَا فَعَلْتُمْ) استبدالا يدل عليه ما سبق من الآية. والمعنى: فتصبحوا على ما تصيبونهم من الجهالة نادمين. أي: "فتبينوا؛ لِئلا تُصيبُوا قوماً برآء مما قذفوا به بجناية؛ بجهالة منكم، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، يقول فتندموا على إصابتكم إياهم بالجناية التي تصيبونهم بها"(١١٢).

ومن ذلك قوله أيضاً: (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ)(١١٣)، إذ حقّقَ الموصول مع ما بعده (كَمَا فُعِلَ) استبدالا يدل عليه فعل سابق في الآية، وهو (حِيلَ)، والمعنى: كما حِيلَ بين أشياعهم وبين ما يشتهون. "يقول: فعلنا بهؤلاء المشركين، فحِلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سخط الله بهم، ومعاينتهم بأسه، كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم، فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضربائهم"(١١٤).

٣- اقتران الاستبدال الفعلي بالإحالة الإشارية:

يلاحظ مجيء الاستبدال الفعلي في بعض الآيات مقترناً باسم الإشارة؛ ليتعالق هذان العنصران في تحقيق التماسك النصي وانسجامه، ويجري في هذا الموضع ما يجري على اقتران الاستبدال بالإحالة الموصولية، فقد يأتي اسم الإشارة مفعولاً لفعل الاستبدال، ومن ذلك قوله تعالى: (وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ)(١١٥)، ففي الآية السابقة يلاحظ مجيء الفعل المقترن بمفعوله الإشاري (يَفْعَلْ ذَلِكَ) مكان فعل سابق، وهو (تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا)، "أي: مَنْ يضارِرْ برجعته، فإنما يَضُرُّ نفسَه؛ لأنه يأثم"(١١٦).

ومنه قوله تعالى أيضاً: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا٢٩ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا)(١١٧)، حيث جاء الفعل المقترن بمفعوله الإشاري (يَفْعَلْ ذَلِكَ) مكان فعل سابق، وهو (تَقْتُلُوا)، أي: "من يَقْتُلْ عدواناً وظلماً، فسوف نصليه ناراً"(١١٨) . وقد يكون المستبدَل به أعَمّ، فيشمل مع فعل القتل أكلَ الأموال في قوله: (لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ)، فيكون معنى (ومن يفعل ذلك)، يعني الدماء والأموال جميعاً(١١٩)، أي: ومن يأكل الأموال، ويقتل الأنفس.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: (وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)(١٢٠)، فهنا جاء الفعل المقترن بمفعوله الإشاري (يَفْعَلْ ذَلِكَ) مكان مجموعة من الأفعال السابقة، وهي (يَدْعُونَ) و(يَقْتُلُونَ) و(يَزْنُونَ)؛ ليحقق الإيجاز في الآية، وكذلك لكراهة تكرار هذه الأفعال المذمومة، فيكون قوله تعالى: "(وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ)، يقول: ومن يأتِ هذه الأفعالَ، فدعا مع الله إلهاً آخر، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وزنى، يلقَ أثاماً، يقول: يلقَ من عقاب الله عقوبة ونكالاً كما وصفه ربنا جل ثناؤه، وهو أنه يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهاناً"(١٢١).

وفي ذلك قال مكي: "(وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)، أي: من يفعل العبادة لغير الله، أو يقتل نفساً بغير حق، أو يزني، يلقَ عذاب الآثام"(١٢٢).

ومن ناحيةٍ أخرى، قد يسبق اسمُ الإشارة الفعلَ المستبدَل، مقترناً بكاف التشبيه، فيكون كلٌّ من الجار والمجرور متعلقاً بفعل الاستبدال، أو بمحذوف مفعول مطلق لفعل الاستبدال[١٢٣]، أو في محل نصب صفة لمصدر محذوف، أو نائباً عنه[١٢٤]، وذلك كقوله تعالى: (قالوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كذَلِكَ يَفْعَلون)[١٢٥]، يعنى هكذا يعبدون الأصنام[١٢٦]. وبناءً على بعض التأويلات النحوية السابقة، يكون المعنى: يعبدونَ مثلَ ذلك، أو يعبدونَ عبادة مثلَ ذلك.

ومنه قوله أيضاً: (قالت إِنَّ الْمُلوكَ إذا دَخَلوا قرْيَة أفْسَدُوهَا وَجَعَلوا أعِزَّةَ أهْلِهَا أذِلَّة وَكذلِكَ يَفْعَلون)[١٢٧]، أي وكذلك يُفسِدون القُرَى[١٢٨].

٤- اقتران الاستبدال الفعلي بكلتا الإحالتين الموصولية والإشارية:

يلاحظ مجيء الاستبدال الفعلي في بعض الآيات مقترناً بكلتا الإحالتين؛ الموصولية، والإشارية؛ لينتج عن ذلك ثلاثة عناصر للترابط النصي في الآية؛ فتتعالق هذه العناصر في تحقيق التماسك النصي وانسجامه، ويكون الفعل المستبدَل في هذه الحالة متوسِّطاً بين الاسم الموصول واسم الإشارة، فيكون تارة بتقديم الموصول وتأخير الإشارة، كقوله تعالى: (ثُمَّ أنتمْ هَـؤُلاء تقْتلونَ أنفسَكمْ وَتخْرجُونَ فرِيقاً مِّنكم مِّن دِيَارِهِمْ تظاهَرُونَ عَلَيْهِم بالإثْمِ وَالعُدْوَانِ وَإِن يَأتوكمْ أسَارَى تفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكمْ إخْرَاجُهُمْ أفَتؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتكفُرُونَ بِبَعْضٍ فمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذلِكَ مِنكمْ إلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)[١٢٩]، فهنا جاء الفعل المستبدَل متوسِّطاً بين الاسم الموصول واسم الإشارة، وذلك بتقديم الاسم الموصول وتأخير اسم الإشارة، وذلك في قوله: (مَن يَفْعَلُ ذلِكَ)؛ ليحقق ترابطاً عميقاً بين أجزاء الآية؛ وذلك بتظافر هذه العناصر وتعالقها؛ لتعزز الربط الرصفي وتكثف الدلالة والقصد. وقد جاء هذا التركيب مكان مجموعة من الأفعال السابقة، ومعنى الآية عند تأويل فعل الاستبدال وما تعالق معه: فما جزاء الذي يؤمن ببعض ويكفر ببعض، أو فما جزاء الذي يقتل ويُجلي مع مفاداة الأسرى، إلا خزي. فيكون مجموع العناصر النصية المتعالقة في الآية دالة إما على الإشارة إلى الإيمان ببعض والكفر ببعض[١٣٠]، أو إلى ما فعلوا من القتل والإجلاء مع مفاداة الأسارى[١٣١].

ومن جهة أخرى، قد يأتي فعل الاستبدال متوسِّطاً بين اسم الإشارة والاسم الموصول، بتقديم الإشارة وتأخير الموصول، وذلك كقوله تعالى: (قالَ رَبِّ أنَّى يَكونُ لِي غُلامٌ وَقدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأتِي عَاقِرٌ قالَ كذلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء)[١٣٢]، حيث جاء الفعل المستبدَل متوسِّطاً بين اسم الإشارة والاسم الموصول، وذلك بتقديم اسم الإشارة وتأخير الاسم الموصول، وذلك في قوله: (كذلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء)؛ ليتكون الترابط النصي العميق بين أجزاء الآية، والكاف ههنا في موضع نصب، أي يفعل ما يشاء مثل ذلك[١٣٣]، يعني "مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء، فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لزكريا، واسم الله مرفوع بالابتداء، وكذلك خبره، فيجب وصله معه، وقيل الخبر يفعل الله ما يشاء، ويحتمل كذلك على هذا وجهين؛ أحدهما أن يكون في موضع الحال من فاعل (يفعل)، والآخر أن يكون في موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره: الأمر كذلك، أو أنتما كذلك، وعلى هذا يوقف على (كذلك)، والأول أرجح؛ لاتصال الكلام، وارتباط قوله (يفعل ما يشاء) مع ما قبله؛ ولأن له نظائر كثيرة في القرآن"[١٣٤].

وقد جاء فعل الاستبدال وما تعالق معه مكان الأفعال (يوجد)، أو (يخلق)، أو (يجعل الولد)، المستخلصة من سياق الآيات، وقد جاء اللفظ صريحاً في آية لاحقة من

السورة، وهي قوله: (قالَ كذلِكِ اللهُ يَخلُقُ مَا يَشَاء)[١٣٥]، فالآية الأولى التي يقصد بها يحيى عليه السلام جاءت بفعل الاستبدال، والثانية التي يقصد بها عيسى عليه السلام جاءت بالفعل الصريح؛ وذلك لأمر مقصود، وهو التأكيد على خلق عيسى؛ لأنه اتُّخِذ إلهاً، فجاء بفعل الخلق؛ "لتبين أنه مخلوق ليس هو ما يقوله النصارى"[١٣٦]، ولم يُتَّخذ يحيى كذلك، فجاء بفعل الاستبدال؛ وكذلك لأن عيسى عليه السلام خلق من أمٍّ بلا أب، فلذلك "عَبَّرَ عن الفعل ههنا بالخلق؛ لأن القدرة ههنا أتمّ، وهو تخليق المولود بغير أب"[١٣٧]، أما يحيى عليه السلام، فقد خُلِقَ من أم وأب، وهو الأمر الطبيعي، فلم يحتجْ إلى لفظ الخلق.

المطلب الثاني- اقتران الاستبدال الفعلي بالتكرار النصي:

يعد التكرار النصي شكلاً من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي، أو وجود مرادف له، أو شبه مرادف[١٣٨]، ويتحقق من جراء ذلك التكرار الترابط والانسجام بين أجزاء النص، ويعرَّف التّكرار النصي بأنه "إعادة الحرف، أو الكلمة، أو الجملة، أو العبارة، أو ما فوق ذلك، بنصِّها في سياق واحد، لغرض يستدعي إعادتها، وفي مقام يستدعي هذه الإعادة"[١٣٩]، وهو يهدف في الغالب إلى بيان أهمية المكرر وتأكيده[١٤٠].

وقد جاء فعل الاستبدال مكرَّراً في غير ما موضع من القرآن الكريم، وذلك عندما يستدعي المقام هذا التكرار؛ لبيان الأهمية، ولتأكيد الكلام، وقد يقع هذا التكرار في آيات متتالية، وذلك كقوله تعالى: (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ٥٨ قالوا مَن فَعَلَ هَذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ٥٩ قالوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ٦٠ قالوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ٦١ قالوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذا بِآلِهَتِنا يَا إِبْرَاهِيمُ٦٢ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ)[١٤١]، فقد جاء الاستبدال الفعلي في الآيات المتتالية السابقة في ثلاثة مواضع، وذلك في قوله: (مَن فَعَلَ هَذا) و(أأنتَ فَعَلْتَ هَذا) و(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذا)، ويلاحظ اقتران فعل الاستبدال في المواضع الثلاثة بإحالة داخلية قبلية، إما إشارية، كما في الموضعين الأولين، وإما ضميرية، كما في الموضع الأخير.

وقد حَلَّ فعل الاستبدال ههنا مع ما اقترن به من الإحالات محَلَّ فعل سابق، هو (جَعَلَهُمْ جُذَاذاً)، أي جعل الأصنام قِطَعاً[١٤٢]، أو مستأصلين[١٤٣]، فيكون تأويل الاستبدال على هذا النحو:

قالوا من جعلَ أصنامنا جُذاذاً؟

قالوا أأنت جعلتَ أصنامنا جُذاذاً؟

قال بل جعلَ أصنامَكم جُذاذاً كبيرُهم هذا.

وقد أسهم تضافر عناصر الترابط النصي من الاستبدالات الفعلية، وتكرار هذه الاستبدالات في تماسك الآيات وانسجام أجزائها، مع تلوين الخطاب وتكثيفه.

ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى: (قالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ١٩ قالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ)[١٤٤]، حيث جاء الاستبدال الفعلي في الآيات السابقة في ثلاثة مواضع على التوالي أيضاً، وذلك في قوله: (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ) و(الَّتِي فَعَلْتَ) و(قالَ فَعَلْتُهَا)، ويلاحظ كذلك اقتران فعل الاستبدال في المواضع الثلاثة بإحالة مقامية، تتمثل في ضمير (التاء) المحيل إلى (موسى) عليه السلام، كما هو مفهوم من سياق الخطاب.

وقد حَلَّ فعل الاستبدال المكرر مع ما اقترن به من الإحالات في الآيات السابقة محَلَّ فعل مستخلص من سياق الكلام، وذلك في قوله تعالى: (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ)[١٤٥]، وذلك الفعل المستخلص مما سبق هو الفعل (قتلَ)، الذي جاء صريحاً في سورة القصص من قوله: (قالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا)[١٤٦]، فيكون تأويل الاستبدال على

هذا النحو:

قال ألم نربِّكَ فينا وليدا؟
ولبثت فينا سنينَ من عمركَ؟
وَفعلتَ الذي فعلتَ منا؟
قال فعلتُهُ وأنا من الضالين.

وقد أسهم تضافر العناصر النصية في الآيات السابقة من الاستبدال والتكرار والإحالة في رفع درجة السبك النحوي والحبك المفهومي، وكذلك يشير المجيء بفعل الاستبدال ههنا مكان فعل القتل إلى أن هذا الفعل الذي فعله موسى عليه السلام لا يستحق ذكره صراحة؛ لأنه لم يكن مقصودا، إنما هو ما آل إليه الأمر من وكز موسى عليه السلام للرجل الفرعوني عن غير قصدٍ للقتل، فلم يستحق فعل القتل أن يعاد في القرآن، إنما جاء مرةً واحدة في هذه القصة، وذلك في آية القصص السابقة.

ومن تكرار الاستبدال الفعلي النصي أيضا أن يأتي فعل الاستبدال مكرَّرا في آية واحدة، وذلك كما جاء في قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا)[١٤٧]، ففي الآية السابقة جاء الاستبدال الفعلي في موضعين من الآية نفسها، وذلك في قوله: (مَّا فَعَلُوهُ)، وفي قوله: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ)، ويلاحظ ههنا أيضا اقتران فعل الاستبدال في هذين الموضعين بإحالة داخلية قبلية قريبة، تتمثل في ضمير (الهاء) في الأول، والاسم الموصول (مَا) في الثاني، إضافة إلى واو الجماعة في كليهما. ويكون المعنى على تأويل الاستبدال الفعلي الأول مع ما اقترن به: "ولو أنا فرضنا على هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، المحتكمين إلى الطاغوت، أن يقتلوا أنفسهم، وأمرناهم بذلك، أو أن يخرجوا من ديارهم مهاجرين منها إلى دار أخرى سواها، ما فعلوه، يقول: ما قتلوا أنفسهم بأيديهم، ولا هاجروا من ديارهم، فيخرجوا عنها إلى الله ورسوله؛ طاعة لله ولرسوله، إلا قليلٌ منهم"[١٤٨].

أما الاستبدال الفعلي الثاني، فيكون المعنى عند تأويله: "ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك صدودا (فعلوا ما يوعظون به)، يعني ما يذكرون به من طاعة الله، والانتهاء إلى أمره، لكان خيرا لهم، في عاجل دنياهم، وآجل معادهم"[١٤٩]، أي: ولو أطاعوا، لكانَ خيرا لهم.

ومن ذلك التكرار قوله تعالى: (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)[١٥٠]، ففي الآية الأخيرة جاء الاستبدال الفعلي في موضعين، وذلك في قوله: (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا)، وفي قوله: (وَلَن تَفْعَلُوا)، وقد اقترن كلٌّ من الفعلين السابقين بواو الجماعة المحيلة إحالة قبلية بعيدة إلى (الناس) في قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)[١٥١]، وقد حَلّ الفعلان المستبدَلان ههنا مكان فعل سابق، وهو قوله تعالى: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ)، فتأويل قوله إذن: (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا)، أي "إنْ لم تأتوا بسورة من مثله، وقد تظاهرتم أنتم وشركاؤكم عليه...، وقوله: (وَلَن تَفْعَلُوا)، أي لن تأتوا بسورة من مثله أبدا"[١٥٢].

المطلب الثالث- اقتران الاستبدال الفعلي بالحذف:

عَدَّ النصيون الحذف وسيلة من وسائل التماسك في النص، وهو عنصر شبيه إلى

حد كبير من حيث الدلالة بالاستبدال، إلا أن الحذف لا أثر له في النص، بخلاف الاستبدال الذي يحل فيه المستبدَل مكانَ المستبدَل به(١٥٣).

وقد يكون أكثرُ ما يجعل الحذفَ شبيهاً بالاستبدال من حيث التركيب أمرين؛ الأول: أنّ الحذفَ علاقة قبلية، شأنه شأن الاستبدال في الغالب، ولا سيما الاستبدال الفعلي، والثاني: أنّ تلك العلاقة القبلية يستلزم مجيئها داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق(١٥٤).

وثمة أمر آخر يمكن جعله ثالثاً لما سبق، وهو المشابهة في التقسيم، إذ إنّ النصيين قسّموا الحذف إلى حذف اسمي، وحذف فعلي، وحذف قولي، وهو تقسيم مشابه لتقسيم الاستبدال(١٥٥).

والجدير بالذكر في شأن الحذف أنّ العنصر المحذوف في النص مردّهُ إلى التقدير، وذلك بمراعاة قرائن متضافرة، من مثل الدلالات السياقية للنص، والمقام الذي قيل فيه، إضافة إلى البناء الرصفي التركيبي الخاص الذي تتألف منه أجزاء ذلك النص.

وقد اقترن الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم بالحذف في بعض الآيات القرآنية، حيث يتعاضد العنصران في تحقيق التماسك النصي والانسجام الدلالي في الآية، وذلك كما في قوله تعالى: (وَأَشْهِدُوْا إذا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَآرَّ كاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإن تَفعَلُوا فَإنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(١٥٦)، فهنا جاء الاستبدال الفعلي في قوله: (وَإن تَفعَلُوا)، مكان فعل سابق، وهو (يُضَآرَّ)، كما حذف مفعوله الذي يرجع إلى (كاتِب) و(شَهيد)، أي: "وإن تضارّوا الكاتبَ والشاهدَ وما نُهيتم عنه، فإنه إثمٌ بكم"(١٥٧).

ومنه كذلك ما جاء في قوله عز وجل: (يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ)(١٥٨)، حيث جاء الفعل المستبدَل في قوله: (وَإِن لَّمْ تَفعَلْ)، مكان فعل سابق، هو الفعل (بَلِّغْ)، وذلك مع حذف مفعوله الذي يرجع إلى (مَا أُنزِلَ)، "يعني: إنْ لم تبلِّغ جميعَ ما أُنزِل إليك (فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)، يعني: كأنك لم تبلِّغ شيئاً من رسالتِهِ؛ لأنه أمره بتبليغ جميع الرسالة، فإذا ترك البعض، صار بمنزلة التارك للكل"(١٥٩).

وهكذا يتبين أثر تعاضد الاستبدال والحذف في تماسك النص القرآني وتأويله، إضافة تظافر العنصرين في تحقيق الإيجاز المطلوب في النص، فضلاً عن التلوين الأسلوبي الذي يلمس من جراء ذلك التظافر.

الخاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى تعزيز المناداة بالتأويل النصّي للقرآن الكريم؛ للكشف عن الدلالات العميقة والمقاصد الخفية للآيات القرآنية البليغة، في غير منأى عن وجهات نظر المفسرين- قديماً وحديثاً- في بيان معاني النص القرآني.

كما أثارت الدراسة قضايا نصية في موضوع الاستبدال الفعلي، وتحديد ماهيته ومفهومه، وما يقترن به من وسائل الترابط في النصوص العربية، ولا سيما آيات القرآن الكريم، وكان للبحث التطبيقي في هذا المجال على القرآن الكريم أثر ملموس في معرفة كثير من العلاقات النصية والاحتمالات التأويلية في النص القرآني. وبقي- بعد استعراض طائفة من المباحث والمطالب في هذه الدراسة- أن أشير إلى النتائج التي يمكن إجمالها فيما يلي:

١- التأكيد على محدودية الاستبدال في نحو النص، ولا سيما الاستبدال الفعلي، ووجود أثره داخل النص، وإحالته إلى العنصر السابق؛ بما يحقق التماسك والانسجام في ذلك النص من خلال العلاقة بين العنصرين المستبدِل والمستبدَل، وهي علاقة قبْلية بين عنصر سابق وعنصر لاحق فيه.

٢- رد القول بتوسع الاستبدال على ما لا ينطبق عليه تعريف الاستبدال النصي، أو يفتقد وجود العنصر المعوّض في النص، أو ما لا يؤدي اتساقاً نصّياً، كالإحالات لغير مذكور، والاستعارات، واختلاف الألفاظ في القراءات القرآنية وروايات الشّعر، والتضمين، والالتفات، واستعمال أسماء الأفعال، وإحلال العامل عمل الفعل والمصدر محلَّ الفعل، وإقامة الصفة مقام الموصوف، والمضاف إليه مقام المضاف، واستبدال الأسماء والحروف بالضمائر، وما يؤديه تنوين العِوَض وأحرف الجواب في الكلام، وغير ذلك.

٣- وجود علاقة تشابه بين الاستبدال ووسائل الترابط النصي الأخرى كالإحالة والتكرار، هذه العلاقة تكون أحياناً ملبسة، فيقع محلل النص في الخلط بين الوسائل في التحليل، لذا ينبغي وضع أسس خاصة لكل وسيلة على حدة؛ وذلك لإزالة الإشكال القائم من جراء الخلط بين الاستبدال وتلك الوسائل.

٤- عدم الممانعة من تفسير بعض الحالات التي تؤدي اتساقاً نصياً بوسيلتين مختلفتين، كالإحالة والاستبدال؛ وذلك إذا تحقق تعريفاهما على تلك الحالات، واستخدمت ألفاظ تصلح على كليهما في الحالات نفسها، من مثل الضمائر، وأسماء الإشارة، وجرى ذلك كله داخل النص لا خارجه.

٥- منع إدراج مجيء الأفعال المترادفة المعنى، وتغيّر الصّيغ الفعلية للفعل في نص ما، ضمن مباحث الاستبدال الفعلي النصي، إنما يعد هذا من مباحث التكرار، فبعضه يعد من قبيل التكرار بالمرادف، وبعضه الآخر يعد من قبيل التكرار المحض.

٦- اختلاف الاستبدال الصوتي-وما يبحث فيه من قضايا صرفية تختص بالإبدال والإعلال والإدغام داخل بنية الكلمة، أو بلغات العرب، وطرائق لفظهم المتعددة للأصوات المتقاربة المخرج- عن الاستبدال النحوي النصي الذي هو أحد وسائل الترابط النصي، وقد وقع خلط في بعض الدراسات الحديثة بين العنصرين السابقين.

٧- تحقق الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم من خلال أفعال محدودة ومحدَّدة، تحل محلّ فعل خاص، أو مجموعة من الأفعال، أو من المعلومات المبنية على أحداث سبقت فعل الاستبدال في الغالب، وقد يكون الفعل المستبدَل به غير مذكور في موضع سابق، إنما مستخلص من سياق الآيات، أو من المعنى المناقض لفعل سابق.

٨- الفعل (فعَل) هو الفعل الأكثر استخداماً من حيث الاستبدال الفعلي في القرآن الكريم، وقد تحقق من خلاله ترابط كثير من النصوص القرآنية وتلوين مبانيها، وقد تحقق الاستبدال الفعلي في النص القرآني أيضاً من خلال أفعال أخرى، من مثل (عمِلَ)، و(كسَبَ)، و(قدَّم)، وكلها تأتي بمعنى الفعل الأول.

٩- اتضاح ظاهرة من الظواهر اللغوية المرتبطة بعنصر الاستبدال، وهي تعاضد الاستبدال الفعلي مع مجموعة من عناصر التماسك النصي في القرآن الكريم، من مثل اقتران الاستبدال الفعلي بالإحالة النصية، أو التكرار النصي، أو مجيئه مع عنصر محذوف؛ بما كشف عن تماسك تركيبي مضاعف في النص القرآني.

Abstract

The Effect of Verbs Substitution over the Cohesion of the Qur'anic Text
By Abdulmohsen Al-Tabtabae

The concept of substitution, in general, and the verbs substitution, in particulars, are considered by text scholars. It is a subject of disagreement

in the modern applied researches. My research seeks to define what distinguish this substitution, through the analysis and stud, and determines the extent of similarity and differences between items of verbs substitution and other items for the textual cohesion, i.e. Referral and Recurence.

The research discussed the nature of the verbs substitution between limitedness and expansion, the textual relation between the verbs substitution and the other textual elements. The research also discussed the realization of the verbs substitution in the Holy Qur'an, images and characteristics thereof. It has also discusswd the collaboration of the verbs substitution with the cohesion elements in the Holy Qur'an. It has discussed the coupling of the verbs substitution with other textual elements in some verses of the Holy Qur'an-alone or with other textual elements- in order to achieve the textual cohesion among the verses, with a brief suitable for the context and the diversity of structure and style.

This research tries to find textual interpretation of the Holy Qur'an based on the data of the text syntax, It may reveal new significances in the Qur'an interpretation, and highlight the textual and structural phenomena learned from the study of the qur'anic tactual interpretation.

الهوامش

[١] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ٢٠٠٠م، ج٩ ص٣٣٨.

[٢] ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط:١، د.ت، ج١١ ص٤٨، مادة (بدل).

[٣] ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط:١، د.ت، ج١١ ص٤٨، مادة (بدل).

[٤] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج١ ص٣١٢.

[٥] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م، ج١ ص٤٢٨.

[٦] الجزائري، أبو بكر: **أيسر التفاسير للجزائري**، د.ط، د.ت، ج١ ص٣٠.

[٧] خطابي، محمد: **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:١، ١٩٩١م، ص١٩.

[٨] نحلة، محمود أحمد: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:١، ٢٠١١م، ص٢٠٦.

[٩] عفيفي، أحمد: **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٢٢.

[١٠] **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص١٩.

[١١] قاسمي، سميرة: **الاستبدال في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، إشراف: د. عبدالقادر البار، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ٢٠١٤/ ٢٠١٥م، ص١٠.

[١٢] بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النص**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط:١، ١٩٩٧م، ص٢٣.

[١٣] **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص١٢٢.

[14] Halliday, M.A.K. & Hasan, R: **Cohesion in English**, Longman Group, London, 1976, p.:88-91.

[١٥] **الاستبدال في القرآن الكريم**، ص١٢.

[١٦] **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص٢٠، ٢١.

[١٧] **الاستبدال في القرآن الكريم**، ص١٥.

[١٨] النازعات: ٤١.

[١٩] الشاعر، صالح عبدالعظيم: **شعر محمد مهدي الجواهري:** دراسة نحوية نصية، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د. محمد عبدالمجيد الطويل، يوليو ٢٠٠٩م.

[٢٠] **المصدر السابق.**

[٢١] الشعراء: ٤١، ٤٢.

[٢٢] الهواوشة، محمود سليمان حسين: **أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف**، رسالة ماجستير، إشراف: د. فايز محاسنة، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٨م، ص١٠١.

[٢٣] **المصدر السابق**، ص١٠٢.

[٢٤] الشمري، أحمد غنيم: **شعر يعقوب الغنيم دراسة في التماسك والانسجام**، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د. عبدالفتاح الحموز، جامعة الكويت، ٢٠١٦م، ص١٦٤.

[٢٥] **شعر يعقوب الغنيم دراسة في التماسك والانسجام**، ص١٦٩- ١٧٣.

[26] **Cohesion in English**, p.: 88.

[٢٧] دي بوجراند، روبرت: **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة وتحقيق: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، د.ت، ص٣٠١. و: **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص١٢١.

[٢٨] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: **كتاب سيبويه**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط:١، د.ت، ج١ ص٣١٩.

[٢٩] الزاملي، لطيف حاتم: **منهج الاستبدال النحوي في كتاب سيبويه دراسة وتحليل**، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد: ١١، العدد: ٢، ٢٠١٢م، ص٨.

[٣٠] خطابي، محمد: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً)**، مجلة علوم اللغة، المجلد: ٩، العدد: ٢، ٢٠٠٦م، ص١٩.

[٣١] **المصدر السابق**، ص١٥.

[٣٢] **المصدر السابق**، ص١٩.

[٣٣] **المصدر السابق**، ص٢١.

[٣٤] **المصدر السابق**، ص٢١.

[٣٥] فولفجانج هاينه من، دي تر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي، ط: جامعة الملك سعود، ١٩٩٦م، ص٢٨.

[٣٦] **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق**، ص٢٠.

[٣٧] **الاستبدال في القرآن الكريم**، ص٣٣.

[٣٨] **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص١٠٩.

[٣٩] عبدالنبي، ناصر علي: **الاستبدال الدلالي دراسة تطبيقية على الفعل (أتى) في القرآن الكريم**، مجلة كلية الآداب ببنها، العدد: ١٠، يناير ٢٠٠٤م، ص١٦- ١٧.

[٤٠] الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، ج٣ ص٣٣٦، ٣٣٧.

[٤١] **الاستبدال الدلالي دراسة تطبيقية على الفعل (أتى) في القرآن الكريم**، ص١٢.

[٤٢] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: **فقه اللغة**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط:١، ١٩٣٨م، ج١ ص٣٣٣.

[٤٣] ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جني: **الخصائص**، تحقيق: محمَّد علي النَّجّار، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، بغداد، ط:٤، ١٩٩٠م، ج٢ ص٤٤٠.

[٤٤] **فقه اللغة**، ج١ ص٣٣٣.

[٤٥] بورنان، عبدالكريم: **الاستبدال الصوتي وأثره الدلالي في العربية**، مجلة الأثر، العدد: ٢٣، ديسمبر ٢٠١٥م، ص٧.

[٤٦] **الاستبدال الدلالي دراسة تطبيقية على الفعل (أتى) في القرآن الكريم**، ص١٥.

[٤٧] **المصدر السابق**، ص١١.

[٤٨] **الاستبدال الصوتي وأثره الدلالي في العربية**، ص٨.

[٤٩] يونس: ١٠٦.

[٥٠] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج٢ ص٣٥٦.

[٥١] الروم: ٤٠.

[٥٢] الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف: **البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، و: الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ٢٠٠١م، ج٧ ص١٧٠.

[٥٣] البقرة: ١٠٧.

[٥٤] الباقولي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي نور الدين جامع العلوم الأصْفهاني الباقولي: **إعراب القرآن المنسوب للزجاج**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة- وبيروت، ط:١، ١٩٨٢م، ج١ ص٤٢٧.

[٥٥] القيسي، مكي بن أبي طالب: **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٩٨٤م، ج١ ص٨٢.

[٥٦] البروج: ١- ٧.

[٥٧] ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني: **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، د.ط، د.ت، ج٧ ص٤٢.

[٥٨] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، والدار الشامية، دمشق، وبيروت، ط:١، ١٤١٥هـ، ج٢ ص١١٩٠.

[٥٩] الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي: **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، و: الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٨م، ج٢٠ ص٢٥١.

[٦٠] يوسف: ٣٢.

[٦١] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١٢ ص٢١٠.

[٦٢] الفجر: ٦- ١٤.

[٦٣] ابن زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين: **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٢م، ج٥ ص١٢٧.

[٦٤] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **تفسير البغوي**، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ج٤ ص٤٨٢.

[٦٥] الفيل: ١- ٥.

[٦٦] السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد: **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ج٣ ص٥٩٦.

[٦٧] الأنفال: ٧٢.

[٦٨] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١٠ ص٥٤.

[٦٩] الأعراف: ٩٦.

[٧٠] **الجامع لأحكام القرآن**، ج٧ ص٢٥٣.

[٧١] البيضاوي، عبد الله بن عمر: **تفسير البيضاوي**، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ج٣ ص٤٣.

[٧٢] الكهف: ٥٧.

[٧٣] الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: **الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ٢٠٠٢م، ج٦ ص١٧٩.

[٧٤] القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب: **الهداية الى بلوغ النهاية**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، بإشراف: أ.د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط:١، ٢٠٠٨م، ج٦ ص٤٤١٣.

[٧٥] الحج: ٨- ١٠.

[٧٦] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١٧ ص١٢٢.

[٧٧] المزمل: ٢٠.

[٧٨] الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، د.ت، ج١ ص٢٠٦.

[٧٩] **تفسير السمرقندي**، ج١ ص١١١.

[٨٠] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١ ص٤٩١.

[٨١] مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي: **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: أحمد فريد، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١ ص٧٢.

[٨٢] النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: **إعراب القرآن للنحاس**، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط:٣، ١٩٨٨م، ج٥ ص٦٣.

[٨٣] الحجرات: ٦.

[٨٤] المنافقون: ٩.

[٨٥] الصافات: ١٠٢.

[٨٦] **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص١٦.

[٨٧] **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص١١٨.
[٨٨] **المصدر السابق**، ص١١٧.
[٨٩] الأنعام: ١١٢.
[٩٠] **تفسير القرآن العزيز**، ج٢ ص٩٢.
[٩١] الأنعام: ١٣٧.
[٩٢] رضا، محمد رشيد بن علي رضا: **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ج٨ ص١١٠.
[٩٣] **البحر المحيط**، ج٤ ص٢٣٣.
[٩٤] الأنفال: ٧٣.
[٩٥] الأنفال: ٧٢.
[٩٦] **مشكل إعراب القرآن**، ج١ ص٣٢١.
[٩٧] الكهف: ٧٢.
[٩٨] **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج٢ ص٢٩٩.
[٩٩] **الهداية الى بلوغ النهاية**، ج٦ ص٤٤٤٥.
[١٠٠] البقرة: ٦٨.
[١٠١] قوله: أمرتُكَ الخيرَ، تتمته: فافعل ما أمرتَ به. انظر: **الكشاف**، ج٤، ص٥٦.
[١٠٢] الرازي، فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر: **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٩٨١م، ج٣ ص١١٠.
[١٠٣] البقرة: ٦٧.
[١٠٤] الألوسي، شهاب الدين أبو الفضل السيد محمود الألوسي البغدادي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج١ ص٢٨٨، وانظر: **الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)**، ج١ ص٢١٧. و: **تفسير البغوي**، ج١ ص٨٣، و: **البحر المحيط**، ج١ ص٤١٧.
[١٠٥] البقرة: ٢٥٣.
[١٠٦] **تفسير السمرقندي**، ج١ ص١٩٢.
[١٠٧] **الهداية الى بلوغ النهاية**، ج١ ص٨٤١.
[١٠٨] العكبري، محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري: **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، د.ت، ج١ ص٢٠٢.
[١٠٩] الصافات: ١٠٢.
[١١٠] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٢٣ ص٧٩.
[١١١] الحجرات: ٦.
[١١٢] **المصدر السابق**، ج٢٦ ص١٢٥.
[١١٣] سبأ: ٥٤.
[١١٤] **المصدر السابق**، ج٢٢ ص١١٣.
[١١٥] البقرة: ٢٣١.
[١١٦] **الهداية الى بلوغ النهاية**، ج١ ص٧٧٤.
[١١٧] النساء: ٣٠.

[118] النيسابوري، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر: **تفسير ابن المنذر**، تحقيق: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة المنورة، ط:١، ٢٠٠٢م، ج٢ ص٦٦٣.
[119] **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج١ ص٢٢٦.
[120] الفرقان: ٦٨.
[121] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١٩ ص٤٠.
[122] **الهداية الى بلوغ النهاية**، ج ٨ ص٥٢٥٨.
[123] صافي، محمود: **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**، دار الرشيد، دمشق، ط:٤، ١٩٩٨م، ج١٠ ص٨٥.
[124] الشيخلي، بهجت عبدالواحد: **بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز**، مكتبة دنديس، عمّان، ط:١، ٢٠٠١م، ج٧ ص ٢٢٥.
[125] الشعراء: ٧٤.
[126] **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج٢ ص٤٥٤.
[127] النمل: ٣٤.
[128] ابن عبدالسلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي: **تفسير العز بن عبدالسلام**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م، ج٢ ص٤٦٤.
[129] البقرة: ٨٥.
[130] النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨م، ج١ ص٦٤.
[131] العمادي، أبو السعود محمد بن محمد العمادي: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج١ ص١٢٦.
[132] آل عمران: ٤٠.
[133] **إعراب القرآن للنحاس**، ج١ ص٣٧٤.
[134] الغرناطي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي، لبنان، ط:٤، ١٩٨٣م، ج١ ص١٠٦.
[135] آل عمران: ٤٧.
[136] الحراني، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، تحقيق: د.محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط:٢، ١٤٠٤هـ، ج١ ص٣٢٤.
[137] النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري: **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م، ج٢ ص١٦٤.
[138] **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص١٠٦.
[139] محمد، سعد عبدالعظيم: **التكرار في القرآن الكريم**، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية (الإصدار الرابع)، مصر، المجلد: ٥، العدد: ٢، ١٩٩٧م، الصفحات: ٨- ٣٦، ص١١.
[140] الزناد، الأزهر: **نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ص١١٩.
[141] الأنبياء: ٥٨- ٦٣.

[١٤٢] **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج٢ ص٣٦٢.

[١٤٣] التيمي، أبو عبيدة مَعمر بن المثنى: **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:١، ١٩٥٤م، ج٢ ص٤٠.

[١٤٤] الشعراء: ٢٠.

[١٤٥] الشعراء: ١٤.

[١٤٦] القصص: ٣٣.

[١٤٧] النساء: ٦٦.

[١٤٨] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٥ ص١٦٠.

[١٤٩] **المصدر السابق**، ج٥ ص١٦١.

[١٥٠] البقرة: ٢٤.

[١٥١] البقرة: ٢١.

[١٥٢] **المصدر السابق**، ج١ ص١٦٨.

[١٥٣] **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، ص١٢٦.

[١٥٤] **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص٢١، وانظر: (**Cohesion in English**)، ص ١٤٤.

[١٥٥] **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص٢٢.

[١٥٦] البقرة: ٢٨٢.

[١٥٧] **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج١ ص١٥٢.

[١٥٨] المائدة: ٦٧.

[١٥٩] **تفسير السمرقندي**، ج١ ص٤٢٨، وانظر: **الكشاف**، ج١ ص٦٩١.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

١- الألوسي، شهاب الدين أبو الفضل السيد محمود الألوسي البغدادي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف: **البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، و: الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.

٣- الباقولي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي نور الدين جامع العلوم الأصْفهاني الباقولي: **إعراب القرآن المنسوب للزجاج**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة- وبيروت، ط:١، ١٩٨٢م.

٤- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **تفسير البغوي**، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

٥- بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النص**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط:١، ١٩٩٧م.

٦- بورنان، عبدالكريم: **الاستبدال الصوتي وأثره الدلالي في العربية**، مجلة الأثر، العدد: ٢٣، ديسمبر ٢٠١٥م.

٧- البيضاوي، عبد الله بن عمر: **تفسير البيضاوي**، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

٨- التيمي، أبو عبيدة مَعمر بن المثنى: **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:١، ١٩٥٤م.

٩- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور: **فقه اللغة**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط:١، ١٩٣٨م.

١٠- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: **الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ٢٠٠٢م.
١١- الجزائري، أبو بكر: **أيسر التفاسير للجزائري**، د.ط، د.ت.
١٢- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي: **الخصائص**، تحقيق: محمّد علي النّجّار، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، بغداد، ط:٤، ١٩٩٠م.
١٣- الحراني، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، تحقيق: د.محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط:٢، ١٤٠٤هـ.
١٤- حسن، عرفة عبدالمقصود عامر: **ظاهرة الاستبدال في نحو الجملة ونحو النص**، شبكة الألوكة الإلكترونية، سبتمبر ٢٠١٤م.
١٥- خطابي، محمد:
- **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً)**، مجلة علوم اللغة، المجلد: ٩، العدد: ٢، ٢٠٠٦م.
- **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:١، ١٩٩١م.

١٦- الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي: **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، و: الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٨م.
١٧- دي بوجراند، روبرت: **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة وتحقيق: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، د.ت.
١٨- الرازي، فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر: **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٩٨١م.
١٩- الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم: **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، د.ت.
٢٠- رضا، محمد رشيد بن علي رضا: **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
٢١- الزاملي، لطيف حاتم: **منهج الاستبدال النحوي في كتاب سيبويه دراسة وتحليل**، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد: ١١، العدد: ٢، ٢٠١٢م.
٢٢- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
٢٣- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
٢٤- ابن زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين: **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٢م.
٢٥- الزناد، الأزهر: **نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٦- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد: **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
٢٧- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: **كتاب سيبويه**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط:١، د.ت.
٢٨- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ٢٠٠٠م.
٢٩- الشاعر، صالح عبدالعظيم: **شعر محمد مهدي الجواهري:** دراسة نحوية نصية، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د. محمد عبدالمجيد الطويل، يوليو ٢٠٠٩م.

٣٠- الشمري، أحمد غنيم: **شعر يعقوب الغنيم دراسة في التماسك والانسجام**، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د. عبدالفتاح الحموز، جامعة الكويت، ٢٠١٦م.
٣١- الشيخلي، بهجت عبدالواحد: **بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز**، مكتبة دنديس، عمّان، ط:١، ٢٠٠١م.
٣٢- صافي، محمود: **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**، دار الرشيد، دمشق، ط:٤، ١٩٩٨م.
٣٣- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣٤- ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني: **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، د.ط، د.ت.
٣٥- ابن عبدالسلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي: **تفسير العز بن عبدالسلام**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م.
٣٦- عبدالنبي، ناصر علي: **الاستبدال الدلالي دراسة تطبيقية على الفعل (أتى) في القرآن الكريم**، مجلة كلية الآداب ببنها، العدد: ١٠، يناير ٢٠٠٤م.
٣٧- عفيفي، أحمد: **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.
٣٨- العكبري، محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري: **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، د.ت.
٣٩- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد العمادي: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
٤٠- الغرناطي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي، لبنان، ط:٤، ١٩٨٣م.
٤١- فولفجانج هاينه من، دي تر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي، ط: جامعة الملك سعود، ١٩٩٦م.
٤٢- قاسمي، سميرة: **الاستبدال في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، إشراف: د. عبدالقادر البار، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ٢٠١٤/ ٢٠١٥م.
٤٣- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
٤٤- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب:
- **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٩٨٤م.
- **الهداية الى بلوغ النهاية**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، بإشراف: أ.د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط:١، ٢٠٠٨م.

٤٥- محمد، سعد عبدالعظيم: **التكرار في القرآن الكريم**، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية (الإصدار الرابع)، مصر، المجلد: ٥، العدد: ٢، ١٩٩٧م، الصفحات: ٨- ٣٦.
٤٦- مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي: **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: أحمد فريد، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
٤٧- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط:١، د.ت.
٤٨- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: **إعراب القرآن للنحاس**، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط:٣، ١٩٨٨م.
٤٩- نحلة، محمود أحمد: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:١، ٢٠١١م.
٥٠- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨م.
٥١- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري: **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م.

٥٢- الهواوشة، محمود سليمان حسين: **أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف**، رسالة ماجستير، إشراف: د. فايز محاسنة، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٨م.
٥٣- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، والدار الشامية، دمشق، وبيروت، ط:١، ١٤١٥هـ.

المراجع الأجنبية:

Halliday, M. & Hasan, Ruqaiya: **Cohesion in English**, Longman Group, London, 1976.